دكتور
السيد رغلول
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

عبد الله بن مسعود

المربي والأديب

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار المعارف

Bibliotheca Alexandrina
0127647

عبد اللهؓ بن مسعود

المربی والادیب

عبد الله بن مسعود

المربي والأديب

دكتور
الشحات السيد غلوان
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٦

دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل رب زدنی علما »

سورة طه آية : ١١٤

المقدمة

بعد أن فرغت من كتابى «عبد الله بن مسعود : الشخصية والسيرة» ، وضح لى أن الشخصية العظيمة تتميز بالعمق والثراء ، فهى بعيدة الغور ، متعددة الجوانب ، ولذلك فإن الباحث كلما مد نظره إليها ، اتضحت له منها أمور كانت غائبة . .

وهنا أحسست بحيرة ، هل من الأفضل أن أتجه بقلمى إلى مجال آخر أرتاده ، وأكتب فيه ، أم أغير موقعى من عبد الله بن مسعود ، وأنظر إليه من زاوية ثانية ، فربما استطعت أن أقف منه على أمور لم يتحها لى موقعى الأول منه حين كنت أكتب عن شخصيته وسيرته .

ولم أدع صعوبة الاختيار تغلبنى على نفسى ، فقد أحسست أن مسئوليتنا أمام عظمة الصحابة تقتضينا ألا ندع شيئا من عظمتهم خافيا ، وأن واجبنا أمام الأجيال المعاصرة التى تفتقد القدوة الإسلامية أن نبصرها بهؤلاء الرجال الذين أعطوا الإسلام أنفسهم ، فأعطاهم عز الدنيا ونعيم الآخرة .

ولم يطل بى التفكير ، فما إن أعدت النظر إلى عبد الله بن مسعود حتى وجدتنى أمسك القلم ، وأقول بصوت مسموع : هذه هى : لقد وجدتها : إنها رؤية معاصرة لعبد الله بن مسعود مربيا ومعلما وأديبا .

وأصدقك القول ، لقد أحسست براحة عندئذ ، لا لأنى أمسكت بخيط سيقودنى إلى نسيج جديد ، ولا لأنى عثرت على موضوع يفرض نفسه ، ويلح على المتصدين للدرس الإسلامى أن يقبلوا على إعمال عقولهم فى قضاياه ، ولكنى مع قناعتى بذلك سعدت به ، لأنه يتصل بأسباب كثيرة مع عملى سنوات عدة مدرساً للتربية وأصولها ونظرياتها فى معاهد التعليم المختلفة ، وكان

الفكر المستورد هو مدار المناهج المقررة ، ولكم كنت أتساءل : ألا يوجد فى الفكر الإسلامى نظرية تربوية إسلامية يمكن أن تأخذ حقها من الدرس إلى جانب ما يسود المناهج من نظريات ؟ وهل يصح أن نقنع بأن نجلس إلى موائد غيرنا لنقتات مما يضعونه عليها غثا كان أم سمينا ؟

وكنت عندئذ أشعـــر أن أدوات البحث غـــير مكتملة لدى ، فكتمت الفكرة فى صدرى لتظل حبيسة اللاشعور ، حتى حركها هذا الموقف ، فتفتق الذهن عنها فجأة . وقلت نعم ، ولتكن محاولة أقدم فيها نموذجا إسلاميا خالصا تربى على القرآن والسنة ، وعلم العربية وأدبها ، ثم تأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخلق بخلقه القرآنى ، وأقبل بعد ذلك يصوغ مما علم ومما تعلم نظاماً تربوياً ، أخذ به تلاميذه ، فنشروا العلم فى الآفاق من بعده .

ولا أزعم أن بحثى يقدم نظرية تربوية متكاملة ، أو تقييما شاملا لجهد عبد الله بن مسعود فى مجال التربية ، ومجال الأدب ، ولكن يكفيه أن قدم اتجاها تربويا إسلاميا ، وحسبه أنه قدم قطوفا من أدب عبد الله بن مسعود ، وكشف عما فيها من عمق الإحساس ، ودقة الأداء ، ولم يكن ذلك إلا لأن عبد الله عرف كيف يفيد مما تعلم ، ثم عرف كيف يوصل فكره وحسه إلى تلاميذه ، فيقنعهم بفكره ، ويمتعهم بشعوره ، وهو فى هذا وذاك نعم المربى ونعم الأديب .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : وقد عرضت فيه لثقافة عبد الله بن مسعود ، وجعلته من أربعة فصول .

الفصل الأول : قدمت فيه ثقافة عبد الله القرآنية بوصفها الرافد الأول ، وصاحبة الأثر الغالب فى تكوينه الفكرى .

فتتبعت صلة عبد الله بالقرآن ، وشغفه به ، ورغبته فى تعلمه منذ اليوم الأول لإسلامه ، وأوضحت أن ملازمة عبد الله للرسول صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يأخذ من فيه عددا كبيرا من السور مما أوقفه على شروط التلاوة الصحيحة وضوابطها ، وقد قدر له الصحابة ذلك ، فأجمعوا على أنه أقرأهم للقـــرآن .

وعالجت بعد ذلك قضية علم عبد الله بالقرآن ، فأوردت آراء الأطراف المختلفة فيها ، وانتهيت من ذلك إلى أن علم عبد الله بالقرآن فى حياة الرسول صلى اللهعليه وسلم أمر أقره عليه الصحابة فى حياته ، ولم ينازعه فى ذلكمنازع ، ثم بينت أن علم عبد الله بالقرآن لم يقف عند حد قراءته والإحاطة به ، فقد جمع إلى ذلك حفظه . ولم يكن حفظه اختزانا واستظهاراً ، وإنما كان بصرا وعملا ، وحيازة لكل الأدوات التى تعين على فهمه وتدبره .

الفصل الثانى : أوضحت فيه أن السنة تمثل الرافد الثانى فى ثقافة عبد الله ابن مسعود ، وكما أتاحت له صحبته أن يتعلم القرآن ، كذلك أتاحت له أن يسمع الحديث ، ويتعلم السنة ، وقد ذكروا أن له ثمانمائة وثمانية وأربعين حديثا .

وكان حديث التشهد ، وخطبة الحاجة مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، كذلك تعلم منه الوضوء ، كما تعلم منه ما كان يفعله فى صلاته ، ولم يكن عبد الله يسكت عن شىء يريد أن يتعلمه ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من جانبه يستثير فيه الرغبة لتعليمه ما يود له أن يعرفه .

الفصل الثالث : وقد خصصته للدرس اللغوى ومكانته بين مكونات ثقافة عبد الله .

وقد بينت فيه أن تصدى عبد الله لإقراء القرآن وتعليمه ، ثم بيان آيه ، وتفسير سوره ، فرض عليه أن يأخذ نفسه بدراسة اللغة .

والواقع أن موقف ابن مسعود من الدرس اللغوى قد تشعب به ، فأنت تجده قد وقف على لغة هذيل بالمربى ، ولغة هذيل عندئذ كانت تمثل إحدى اللغات التى نزل بها القرآن ، كذلك كانت لغة هذيل من اللغات التى اتجه إليها العلماء عند جمع اللغة ، وما ذكروه من وجوه الغرابة فيها إنما هو أمر نسبى .

. وقد عرضت لما قيل عنه أنه من خصائص لغة هذيل ، وناقشت الآراء التى وردت فيه ، ثم تتبعت ما يمكننا أن نستشفه من هذه الخصائص فى قراءات عبد الله . ثم إننا نجد أن عبد الله قد أخذ اللغة من بيئته كما استقاها من قبيلته ، وأعنى بذلك بيئة الحجاز ، وقد ظهر ذلك فى أن كثيرا من خصائص اللغة الحجازية قد ظهر فيما روى عنه من قراءات .

ولما كانت هناك لغة أدبية اصطنعها الشعراء والخطباء ، ونزل بها القرآن ، فقد فرض ذلك أن ندرس هذه اللغة التى خلت من الشوائب اللهجية ، والتى ضمت كثيرا من لغات القبائل ، ونرصد ما جاء منها فى قراءات عبد الله .

الفصل الرابع : وقد عرضت فيه لثقافة أهل الكتاب ، وتحريت الأسباب التى قربت عبد الله منها ، وكان من ذلك أن عبد الله عاش فى المدينة ، وكان اليهود من أبنائها يقرأون ما بين أيديهم من التوراة ، وقد لقى ما وافق القرآن

فيها هوى فى نفوس المسلمين بعامة ، كذلك كانت بعض معارف أهل الكتاب تتاح لعبد الله بن مسعود حين يعرضها أصحابها على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو يسألونه فى شىء منها وهو فى مجلسه ، والأمر نفسه فى عهد الخليفتين الأولين وبخاصة عمر ، فقد كان عبد الله يحضر مجالسه التى يشهدها من أسلم من اليهود.

ثم بينت بعد ذلك أن الكتب السماوية فى أصولها الحقيقية لا تتعارض ، ولكن إقدام أصحاب الكتب السابقة على القرآن بالتغيير فى كتبهم هو الذى أدى إلى هذا التعارض .

وقد قدمت بعد ذلك نصوصاً لعبد الله بن مسعود تحدد موقفه من ثقافة أهل الكتاب بعامة ، ثم أوردت نماذج لما حمل عليه منها ، وما أسنده الرواة إليه مما ذكره المفسرون فى كتبهم ، وقررت أن معظم هذه الإسرائيليات كذب وباطل . وما تصح نسبته منها لا يخرج عن أن عبد الله قد رواه من جهة التحديث بالغرائب دون أن يأخذ ذلك حكم الحديث الموقوف .

وقد انتهيت إلى أن عبد الله كان إيجابيا فى موقفه من ثقافة أهل الكتاب ، لم يقبلها بكل ما فيها من غث وسمين ، وإنما عرضها على محك الشرع والعقل فرفض منها كل ما يتنافى مع مبادئها . ولذلك ظل أثر هذه الثقافة بعيدا عن العقيـــدة .

الباب الثانى : وقد تكلمت فيه عن عبد الله بن مسعود : المربى والأديب وقسمته إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول : خصصته للدرس القرآن ، وأوضحت فيه أن الدولة ممثلة فى عمر وكلت إلى عبد الله بن مسعود مهمة القيام على تعليم القرآن فى العراق ،

وأنه قدر المسئولية ، وأعطاها جهده ، فأقبل عليه تلاميذ كثيرون ، يأخذون القرآن عنه وفق ضوابط القراءة وأحكامها ، فقد علمهم أن يرتلوه، ويتأنوا فى قراءته ليتدبروه حتى يعملوا بما فيه ، ويتخلقوا بأخلاقه .

وقد اتخذ عبد الله من المسجد مكانا للتعليم ، واقتدى بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القراءة والإقراء ، كما أقبل يفسر القرآن للقوم، وكان ينهج فى ذلك نهجا تربويا يعين على بيان آى القرآن وتفهمه، وهو فى ذلك إنما كان يستهدى أيضا ما كان يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما عرف به عبد الله أنه كان يتحرج القول بالرأى فى القرآن، ويأخذ بمنهج التفسير بالمأثور مما جعل تفسيره مصدرا أصيلا أفاد منه كثير من المفسرين .

الفصل الثانى : وقد أفردته لدرس الحديث وبينت فيه أن عبد الله حدث فى العراق بما أخذه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما هيأه له طول ملازمته له ، ومع هذا فإن ما روى عنه قليل بالنسبة لما روى عن غيره ممن لم تتح لهم ظروف مثل ظروفه ، وقد رد بعضهم ذلك إلى أن عمر أمره بالإقلال من الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وتزيد هؤلاء فذهبوا إلى أنه سجنه فى نفر من الصحابة سنة حتى استشهد فأطلقهم عثمان .

والموقف فى جملته لا يتحمل ذلك ، فمفهوم الخبر على فرض صحته أنه استبقاهم بالمدينة ليتثبت مما لديهم من الحديث .

وعندى أن السبب يتصل فى جانب كبير منه بعبد الله بن مسعود نفسه ، فقد كان لديه من الورع والخشية ما يجعله يفرض على نفسه منهجاً متشددا فى

الرواية حتى لا يقع فى خطأ ، فكان يلتزم اللفظ ، ويصحح ما يرويه على القرآن ، ويدلل على صدقه بآيات منه ، وهو فى ذلك إنما ينهج نهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسلك سبيل سنته .

وقد كان لجهود عبد الله أثرها ، فسبقت الكوفة غيرها فى العناية بالحديث وكثر تلاميذه بها ، وحملوا علمه عنه .

الفصل الثالث : وقد جعلته عن المفاهيم الإسلامية فى التعلم فى فكر ابن مسعود ،وقد أوضحت فيه أن عبد اللهفطن إلىأثر الرغبة فى التعلم ، وأن علينا أن نجعل الغاية من التعلم سامية على العرض الدنيوى الزائل ، وأن نراعـــى المستوى العقلى لمن نريد تعليمهم حين نقوم بوضع المناهج العلمية لهم .

وقد لحظت أن عبد الله فسر عمليات التعلم تفسيرا دينيا ، وربما كان ذلك أثرا للروافد التى استمد منها ثقافته بعامة . ومع هذا فهناك ما يلفت إلى توصله إلى بعض المبادىء المتقدمة فى مجال التربية ، فسبق عصره بها ، لقد أدرك ـــفضلا عماسبق ـــ أنالعلم بالتعلم ،وأن وجود الدافع يؤثر فى العملية التعليمية ، وأن إيجابية المتعلم وما تثيره من نقاش لها فعاليتها فى تعلمه ، ثم إن الهدف من التعلم لا يقف عند حد اختزان المعلومات ، وإنما فى العمل بها ، والإفادة منها ، وأن المذاكرة أدعى إلى حفظ العلم والتثبت منه .

وقد أخذ عبد الله موقفا من العلم بعامة هو موقف الإسلام نفسه منه ، فكان يدعو إلى نشره . ولا يرضى عن حبسه . كذلك أعطى للقدوة الحسنة أهمية فى مجال التربية ، فبها يقتدى الطلاب ، ويحتذى التلاميذ .

وقد عرف الصحابة فضل عبد الله ومكانته فى العلم ، وعرفوا له دوره فى إقامة مدرسة متميزة فى الحديث والفقه ، حمل لواءها أصحابه من بعده .

الباب الثالث :

«أدب عبد الله بن مسعود : الخصائص والسمات» .

ولا أود فى حديثى هنا أن أقحم عبد الله بن مسعود فى عداد الأدباء ، أو أن أزعم أن له إنتاجاً أدبيا فى وسع المرء أن يعرض له بالمقاييس النقدية المتعارف عليها ، ذلك لأن ما جاءنا عنه لا يخرج فى مجموعه عن أن يكون تفسيرا أو فتوى مما يوسع له مكانا بين المفسرين والفقهاء .

ولكنى أحببت أن أقف على الحس الأدبى عنده ، وأقف على نتاج الثقافة التى تأتت إليه من روافد متعددة فى مجال الإبداع الأدبى ، ولو أننا أمام أديب من ذوى الأعمال الأدبية التى كملت معالمها لكان التصدى لعرضها على قواعد النقد أمرا ميسورا ، لكن ما نجده لعبد الله فى محيط الأدب نذر قليل ، ومن هنا نشأت الصعوبة ، وفرض الموقف علينا أن نمد البصر فى مروياته بجملة لنقف على ما يتصل منها بالأدب بسبب ، وقد توفر لنا قدر إن لم يكن وفيرا . فهو يقدم مادة أدبية يمكن التعرف من خلالها على الخصائص التى تميز أدبه من حيث موضوعاته وأفكازه وأساليبه ، كما يمكن أن تعيننا على الاقتراب من الحس اللغوى لديه .

ولقد جاء هذا الباب فى فصلين :

الفصل الأول : فى الموضوعات و الأفكار و الأساليب .

يلحظ الدارس أن السمة البارزة فى أدب عبد الله بن مسعود أنه أدب الزهد الذى غذته الروح الإسلامية ، ولذلك نجده يكثر الحديث عن الدنيا الزائلة ، والفقر ، والثراء الحقيقى ، والعمل الصالح ، والتأهب للموت . أما من حيث الأفكار ، فإننا نجد عليه الطابع الدينى ، وقد وضح ذلك فيما قدمت

له من خطب ، وفيما عرضت له من عظات ، وهى فى مجموعها تسير على نهج العصر من حيث الإيجاز والعمق ، والإيقاع السريع ، فكل فكرة عنده إن هى إلا خفقة قلب أو دفقة شعور. وكان عبد الله يركز على أفكار معينة لا يمل من تناولها ، غير أنه ما إن يعرض لها حتى يضيف إليها ، أو يفصل فيها مما يضفى عليها شيئا من الجدة ، والمدقق فى أفكار عبد الله يمكنه أن يردها إلى أصولها من القرآن والحديث ، وكثيرا ما تتداخل الأفكار عنده حتى ليصبح من العسير وضع حد بين ما هو له ، وما هو للنبى صلى الله عليه وسلم ، بل وما كان فى كتب أهل الأديان الأخرى .

ولقد عمـــدت إلى اختيار بعض الأساليب التى وجـــدت أنها تستوقف القارىء فى أدب عبد الله بن مسعود ، فأوضحت أنه فيما درج عليه من أسلوب القسم إنما كان يتحرى النهج القرآنى فى التعبير ، فقما أقسم بذات الله كما أقسم بصفاته ، وبخاصة صفة الوحدانية ليثبتها فى القلوب .

وأما عن أسلوب الدعاء فقد وضحت فيه العناصر الإسلامية ، فالمسألة فيه لا تتصل بعرض فان ، وإنما تتعلق بما هو خير وأبقى ، وعلى الداعى أن يخلص فى دعائه ، وأن يدعو من قلبه .

الفصل الثانى : الحس اللغوى :

وقد بينت فيه أن عبد الله بن مسعود قد فطن بحسه المتفرد إلى الفـروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ ، فأعانه ذلك على الوقوف على الأسرار البلاغية والبيانية فى القرآن ، وقد أفاد عبد الله كثيرا من ثقافته اللغوية فى تحديد الدلالة المقصودة من الألفاظ عندما يتقارب استعمالها اللغوى ، كذلك فإن عبد الله

كان يلوذ بإحساسه الدينى الذى غذاه القرآن ، وتولته السنة فى الوقوف على دلالة بعض الكلمات ويمكن أن تحمل قراءات عبد الله التفسيرية فى طياتها دليلا على علمه باللغة ، وبصره بها ، فأنت تجد فى ألفاظه طاقة فكريةوشعورية هائلة ، يقف القارىء على ما فيها من معنى بقدر ما يدقق النظر فيها ، وربما كان هذا سببا فى أن الصوفية حاولوا أن يلوذوا بها ليصبحوا عليها ما حملوا ألفاظهم عليه .

الخاتمة : وقد أوجزت فيها أهم النتائج التى عرضت لتفصيل القول فيها خلال صفحات البحث .

البَابُ الأولُ

ثقافة عبد الله بن مسعود

«قالوا للذين(١) أوتوا العلم ماذا قال آنفا»

«سورة محمد آية ١٦»

---

١ — قال ابن بريدة : هو عبد الله بن مسعود .
الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٣٢٣ .
السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٤٩ .

الفصل الأول

القـــرآن

كانت الحياة العلمية فى عهد النبوة تقوم فى جانب كبير منها على مقومات دينية استحدثها الإسلام .

فلقد أقبل المسلمون بعامة على القرآن والسنة ، يتخذون منهما زادا دينيا وفكريا ، وانتشرت تعاليم الدين بانتشاره ، ووقف المسلمون على كثير من أخبار الأمم السابقة من خلال ما حدثهم به القرآن عنها ، وكانت الأحكام الدينية مناط تنظيم شئون المسلمين فى معايشهم ، ووردت فى القرآن أيات كثيرة تحث العقل على التأمل ، وتدعو الفكر إلى النظر .

قال تعالى(١) : «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب»

لقد غلب الاهتمام بالقرآن والسنة على مجرى الحياة العلمية عندئذ فعنى المسلمون بهما توثيقا لنصوصهما ، ورغبة فى الوقوف على ما فيهما من معان وأحكام ، وكان سبيلهم إلى ذلك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبصر بما عرف عن العرب فى عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم ، ثم ما ورد فى أدب القوم ولغتهم .

«ولقد(٢) كان العرب يعرفون العربية على تفاوت فيما بينهم ؛ وإن كانت العربية لغتهم ، فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلى ويعرف غريبه ، ويستعين بذلك فى فهم مفردات القرآن ، ومنهم من كان دون ذلك»

وثقافة الفرد حصيلة مكونات عدة ، وللتعلم وطرائقه أثر كبير فى تنميتها.

---

١ – سورة آل عمران : آية ١٩٠ .

٢ – أحمد أمين : فجر الإسلام ج ١ ص ٢٣٧ – مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٨ .

ومعيار التفوق الحقيقى لا يقف عند حد القدرة العامة وحدها، فالذكاء وإن غلبت عليه الوراثة ، فهو لا ينمو إلا بالتعلم .

وفى هذا الباب سنعرض لثقافة عبد الله بن مسعود ، وسنحاول أن نتعرف على روافدها ، والعوامل التى اشتركت فى تكوينها ، والواقع أن رصد سلوك عبد الله فى المواقف التى واجهته ، وتتبع تصرفه خلالها يعيننا على أن نقف على ما كان لديه من ذكاء وافر شحذه العلم الإسلامى فتوقد ، ووصل إلى الغاية مما أكسبه طاقةعلمية متفردة يمكننا أن نميزها بسماتها بين الصحابة جميعا.

القـــرآن

كان القرآن أهم الروافد التى أمدت شخصية عبد الله بن مسعود بعوامل تكوينها ، ونحن لا نغالى حين نذهب إلى أن مده قد تجاوز غيره فى بنائها ، فحين يذكر عبد الله بن مسعود يرتبط اسمه بالقرآن ، ولو أنك قلت عنه إنه رجل القرآن ما عدوت الحقيقة ، وما عدوت أن تكون قد قصدت أحدا غيره. فحين لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول مرة ، وهو يرعى غنم عقبة بن أبى معيط شاءت إرادة الله أن تمس كلمات القرآن مراكز الحس فى قلبه وعقله فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن(١) يعلمه من هذا القول ، فيقول الرسول له «إنك غلام معلم» ، ويذهب عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ، وبينما هو عنده يحدث أول اتصال له بالقرآن .

---

١ -- ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٥١ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .
-- ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٨٨ -- مطبعة نهضة مصر .
-- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٦ .

عن زر عن عبد الله قال(١) : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ، فنزلت عليه «والمرسلات عرفا» فأخذتها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، فلا أدرى بأيها ختم(٢) «فبأى حديث بعده يؤمنون» أو(٣) «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» .

وليس المراد أن ابن مسعود شك فى معرفة آخر السورة ، إنما شك(٤) فى أى الآيتين وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وعبد الله أول(٥) من أفشى القرآن بمكة من فى رسول الله صلى الله عليه

---

١ – أحمد بن حنبل : المسند : الحديث رقم ٣٥٧٤ .
– صحيح البخارى : ج ٦ كتاب التفسير ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ ، ج ٤ كتاب بدء الخلق ص ١٥٧ ط . الشعب .
– صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٤ ص ٢٣٣ .
– ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ج ١ ص ١٢١ ط . سنة ١٩٧٧ .
– القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣١٤ ط . سنة ١٩٥٢ .
– السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٢ .
٢ – سورة المرسلات : آية ٤٨ .
٣ – سورة المرسلات : آية ٥٠ .
٤ – أحمد شاكر : شرح المسند ص ١٩٩ .
٥ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .
– المقدسى : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ ط باريس سنة ١٩١٦ .
– ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية .
– ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

وسلم ، فجهر.(١) به ليسمعه قريشا ، وهو يعلم أنه ليس فى منعة منها ، فنى أول الإسلام كانوا المشركون إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن فى صلاته بأصحابه يسبونه ، كما كانوا(٢) يسبون القرآن ، ومن أنزله ، ومن جاء به ، فنزل قوله تعالى(٣) «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا» . والقصد من ذلك أن يسلم القرآن من المهانة ، وينجو الرسول والذين معه من الأذى .. :

كان هذا والرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة يدعو إلى الاسلام فى خفية . من القوم ، ولقد رغب الصحابة لو أنهم استطاعوا أن يجهروا بالقرآن ، وودوا لو أن أحدهم ممن له عشيرة تحميه فعل ذلك ، ولكن عبد الله بن مسعود خال أنه المعنى ، وندب نفسه لهذا العمل ، ولو أنه سكت مما كان عليه فى هذا الأمر شىء ، فكلهم يعلم أنه لا سند له . ولكن صاحب النفس الكبيرة يعرف للموقف أثره ، أو قل إنه الإسلام الذى جعل الحياة ترخص ، والدنيا تهـــون .

قال ابن إسحق(٤) : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجـــل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ،

---

١ — ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٦٢ — مكتبة المعارف — بيروت .
— الزركلى : الأعلام جـ ٤ ص ٢٨٠ — الطبعة الثالثة .
— دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١ ص ٢٧٥ .
٢ — ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ٣ ص ١٤٤ .
— السيوطى : أسباب النزول ص ١١٤ .
٣ — سورة الإسراء آية ١١٠ .
٤ — ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٧ — مؤسسة نهج الفكر العربى للطباعة .
— الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ط . دار المعارف .
المقدسى : البدء والتاريخ جـ ٥ ص ٩٧ . ط سنة ١٩١٦ .
النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ١٦ ص ٢٢٨ .

إنما نريد رجلا له عشيرته يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعونى ، فإن الله سيمنعنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» — رافعاً بها صوته « (١) الرحمن. علم القرآن» قال : ثم استقبلها يقرؤها قال : فتأملوه ، فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا . قالوا : لا ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

وقد تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بالدرس القرآنى ، فقد روى عنه قوله(٢) : لقد أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وسبعين سورة ...

---

١ — سورة الرحمن : آية ١ ، ٢ .

٢ — القسطلانى : إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخارى ج ٧ ص ٥٠٩ .

— أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٢٥ ط . دار المعارف سنة ١٩٤٨ .

وانظر الحديث رقم ٣٦٩٧ ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ .

وقيل «بضعة وسبعين سورة» .

راجع — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

— ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤٤ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .

— صحيح البخارى : باب القراء من أصحاب النبى ج ٦ ص ٢٢٩ .

— مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووى ج ٦ ص ١٦ .

وقيل «سبعين سورة» .

راجع — ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ص الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ .

— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٣٩٣ .

— ابن الجوزى : صفوة الصفوة ص ١٥٥ .

— الذهبى : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٤ .

— ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .

أبو نعيم : حلية الأولياء : ج ١ ص ١٢٥ ط . السعادة سنة ١٩٢٣ م .

و(١) بضعا وتسعين سورة — من فمه إلى فمى .

وإذا كانت هذه الرواية لم تخصص لنا هذه السور فإن روايات أخرى قد حددت سورا(٢) صح أن عبد الله قد تلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ، وأخذها عنه . قال عبد الله(٣) : «إنا قد سمعنا القراءة ، وإنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم» وأخرج البخارى(٤) عن عبد الرحمن ابن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ، ومريم ، والأنبياء «إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى» ، يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد .

وقد عرض عبد الله القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففى تفسير القرطبى (٥) أنه قرأ عليه من البقرة إلى قوله تعالى(٦) : «إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين» .

وروى البخارى(٧) وأحمد(٨) أنه قرأ عليه النساء حتى قوله : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيد ، قال عبد الله ،

---

١ — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٥٥ .

٢ — انظر ما ورد فى شأن سورة المرسلات فيما سبق من البحث .

٣ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٦ باب الترتيل فى القراءة ص ٢٤٠ .
وانظر جـ ٦ ص ٢٢٩ .

٤ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٦ باب تأليف القرآن ص ٢٢٨ .
— راجع : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٤٧ ص ٤٣٠٦ .

٥ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٦ — سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

٧ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ٥٧ ، وباب قول المقرىء للقارىء حسبك ص ٢٤١ ، وباب البكاء عند قراءة القرآن ص ٢٤٣ ط . دار الشعب .

٨ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ١٨٦ حديث رقم ٣٥٥١ .
— ابن ماجة : السنن جـ ٥ كتاب الزهد ص ١٤٠٣ .

قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ على ، قلت :: أقرأ عليك وعليك أنزل قال : فإنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» ، قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان .

وروى مسلم(١) أنه قرأ عليه سورة يوسف ، وعن أبى وائل عن عبد الله ابن مسعود قال(٢) : هيت لك ، قال : وإنما نقرأها كما علمناها .

وحسبنا من ذلك أن نقول إن عبد الله بن مسعود قد أتيح له أن يتعلم القرآن وفق منهج لم يتح لغيره من الصحابة ، فمعيشته فى بيت النبوة وملازمته المستمرة للرسول صلى الله عليه وسلم قد ساعدته على أن يتلقى عنه هذا القدر من القرآن ، ويقرأ عليه ما يتيسر منه فيقف على أحكام القراءة وضوابطها .

فقد وضع الله شروطا لقراءة القرآن على كل مسلم أن يصحح قراءته عليها وفى مقدمة هذه الشروط(٣) .

ـ الطهـــارة .

ـ ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ٤ ص ١٤٣ .

ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٦٣ .

١ ـ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

٢ ـ البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ٩٦ .

٣ ـ قسم طاش كبرى زاده آداب التلاوة إلى قسمين :

الآداب الظاهرة : الأول : فى حال القارىء وهو أن يكون على وضوء . الثانى : فى المقدار . الثالث : فى القسمة . الرابع : الكتابة ، الخامس : البكاء ، السادس : الترتيل . السابع : رعاية حق الآيات ، الثامن : أن يتعوذ قبل القراءة ، التاسع : إسماع النفس ، العاشر : تحسين القراءة من غير تمطيط بغير النظم . الآداب الباطنة . الأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، الثانى : تعظيم المتكلم ، الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس ، الرابع : التدبر ، الخامس : التفهم ، السادس : التخلى عن موانع الفهم ، السابع : التخصص ، الثامن : التأثر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات . التاسع : التوقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل : العاشر : التبرى من حوله وقوته .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم جـ ٣ ص ١٠٥ ـ ١١٢ .

قال تعالى(١) : «إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون» من الجنابة والحدث .

ـ التعوذ فى بداية القراءة .

قال تعالى(٢) : «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» وهذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا(٣) أمر ندب ليس بواجب ، حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير الطبرى وغيره من الأئمة .

ـ الترتيـــل .

والمقصود به أن تأخذ الحروف حقها فى النطق .

قال تعالى(٤) : «ورتل القرآن ترتيلا» والقراءة على مهل تكون عونا على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة(٥) : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ، ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

---

١ ـ سورة الواقعة : اية ٧٩

٢ ـ سورة النحل اية ٩٨

٣ ـ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٤٦

٤ ـ سورة المزمل : اية ٤

٥ ـ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٦٣

ـ فهم المقروء ، والتمعن فيه ، وتدبره .

قال تعالى : كتاب(١) أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب» .

والقصد ألا يكتفى المسلم بقراءة القرآن ، وحفظ سوره ، وإنما يجب عليه أن يفيد منه فى حياته ، فيتخلق به ، ويعمل بموجبه .

قال الحسن البصرى(٢) : «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل» .

ـ الاستماع والإنصات عند سماع القراءة حتى يعى المرء ما يسمع .

قال تعالى(٣) : «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»

وقد أمر(٤) الله تعالى بالإنصات عند تلاوة القرآن إعظاماً له واحتراماً، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون فى قولهم(٥) : «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» .

ولقد تعلم عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم أصول التلاوة ، فأجاد ضبطها ، وأتم أحكامها . وقد حسن(٦) الرسول صلى الله عليه وسلم قراءته ،

---

١ ـ سورة ص : آية ٢٩ .

٢ ـ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٠٢ طبعة دار القرآن الكريم ـ بيروت سنة ١٩٨١ .

٣ ـ سورة الأعراف : آية٢٠٤ .

٤ ـ الصابونى : مختصرة تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧٩ .

٥ ـ سورة فصلت : آية ٢٦ .

٦ ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

وكان (١)يشتهى أن يسمع القرآن منه ، ووصفه أنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فى حديث عمر بن الخطاب أنه قال(٢) : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بعبد الله بن مسعود ، وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هذا الذى يقرأ القرآن » فقيل له : هذا عبد الله بن أم عبد، فقال : إن عبد الله يقرأ القرآن غضا كما أنزل» . وقيل فى معنى قوله «غضا كما أنزل » أى(٣) أنه كان يقرأ الحرف الأول ، وعن أبى ظبيان قال ، قال لى عبد الله بن عباس : أى القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد ، فقال لى : بل هى الآخرة .

---

١ — أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

٢ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ .

— البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٥٩ ، ص ٢٠٣ ط . ١٩٧١ .

— الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .

— الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج ١ ص ٣٥ .

— أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ .

راجع روايات أخرى للحديث .

— من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد .

ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراءة ج ١ ص ٤٥٩ .

— من أحب أن يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد» .

ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٨٩ مطبعة نهضة مصر .

— وفى رواية «من سره أن يقرأ القرآن رطبا» ...

أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ .

أبو داود السجستانى : المصاحف ص ١٣٧ طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .

٢ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ .

— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ١ ص ١٠٦ .

— البخارى : خلق أفعال العباد ص ١٧٩ .

وقال الحسين بن على الجعفى(١) : «معناه أنه ليس يريد به حرفه الذى يخالف المصحف ، إنما أراد ترتيله» .

وقال مكى أبو طالب(٢) : لا ينكر أن يكون صلى الله عليه وسلم أراد حرفه الذى كان يقرأ به . ونحن نقرأ بذلك من قراءته ، ونتولى ذلك ونرويه ، ونرغب اليوم فيه ، ما لم تخالف قراءته المصحف ، فإن خالفت المصحف لم نكذب بها ، ولم نقرأ بها ، لأنها خارجة عن الإجماع ، منقولة بخبر الآحاد ، والإجماع أولى من خبر الآحاد ، ولأننا لا نقطع أنها قراءة ابن مسعود على الحقيقة ، إذ لم يصححها إجماع ، ولذلك قال مالك وغيره : القراءة التى تنسب إلى ابن مسعود ، فقال : «تنسب إليه» ولم يقل «قراءة ابن مسعود» والشىء قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه .

كذلك تعلم عبد الله كيف يبدأ التلاوة، فقد روى عنه قوله(٣) : قرأت على رسول الله (ص) فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى : «يا ابن أم عبد . قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ(٤) ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصحح له قراءته ، عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال : قرأت على النبى (ص) : فهل من مذكر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم(٥) : فهل من مدكر.

---

١ -- راجع : مكى أبو طالب : الإبانة عن معانى القراءات ص ٧٢ .
٢ -- المصدر نفسه ص ٧٣ .
٣ - الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦٣٤ نشر دار الكتاب العربى بيروت .
-- القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٨٧ .
٤ -- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٣٥ .
٥ -- سورة القمر : آية ٢٢ .

وقد علم الصحابة أن عبد الله أقرؤهم(١) لكتاب الله ، فقدروا له تلقيه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا له بتجويده وتحقيقه ، وشدهم إليه أنه كان يرتله بصوت حسن . قال أبو عثمان النهدى(٢) : «صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد ، ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله . وقال علقمة(٣) : بت مع عبد الله فى داره ، فنام ، ثم قام ، فكان يقرأ قراءة الرجل فى مسجد حيه ، لا يرفع صوته ، ويسمع من حوله .

وكان عبد الله لا يدع آية يتلوها الرسول عليه ، وفيها شىء لا يعرفه إلا ويسأل عنه ، من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى(٤) : «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فقال له عبد الله (٥) يا رسول الله كيف انشراح صدره ، قال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، قال عبد الله : يا رسول الله . فما علامة ذلك ، قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت»

وحسبنا مما ذكرنا أننا تتبعنا خطوات درسه القرآنى ، ووقفنا على خطته فى تعلمه ، أما أن يفهم من هذا التخصيص فى الإقراء والقراءة أو التلقى

---

١ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
— الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٣٥ .
٢ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
٣ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
راجع حديث البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «زينوا القرآن بأصواتكم» ، وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» .
الدارمى : سنن الدارمى نسخة مصورة ، نشر دار إحياء السنة النبويه .
٤ — سورة الزمر : آية ٢٢ .
٥ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٣٢٥ .

والعرض أن عبد الله بن مسعود لم يتعلم القرآن كله ، ولم يجمعه(١) فى حياة الرسول ، وأن علمه به قد وقف عند هذا الحد فهذا أمر مردود ومرفوض .

فقول عبد الله إنه أخذ هذا العدد من السور من فى رسول الله دون أن ينازعه فيه أحد عد من مناقبه، ثم إنه ورد فى معرض تمسكه بقراءته ، وعدم رغبته فى أن يتركها ، لكن ما بقى من القرآن ، فربما شاركه غيره فى تلقيه ، أو أنه تعلمه من غير رسول الله فى عهده . وقد ورد ذكر لذلك فيما أورده القرطبى من أن عبد الله قد تعلم(٢) قدرا من القرآن من مجمع بن جارية الأنصارى.

هذا وقد تظاهرت الروايات بأن عبد الله بن مسعود قد علم القرآن كله ، ووقف عليه سورة سورة ، وآية آية .

قال عبد الله بن عباس(٣) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه رسول

---

١ — راجع قول مكى بن أبى طالب القيسى : «ولم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم جمع القرآن كله» .
— ثم راجع قوله : «أما ما بقى «على عبد الله» من القرآن فيجوز أن يكون قرأه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم على من قرأ على النبى ، فأسنده إلى النبى .
— «ويجوز أن يكون قرأه على النبى تلقينا ، ولم يكمل له إتقان حفظه إلا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم» . الإبانة عن معانى القراءات ص ٧١ ، ٧٧ .

٢ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٣ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٧ .
— راجع البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٧٩
— وانظر : قول ابن الجزرى : إن عبد الله بن مسعود عرض القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم . غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٨
: وما أورده السيوطى فى هذا الصدد : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١٠٦ .

الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبد الله ، فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل ، وتأكد ذلك فى قول عبد الله نفسه(١) : لقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القرآن فى كل رمضان ، حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرنى أنى محسن .

ثم إن هناك ما يقطع بأن عبد الله قد أتم أخذ القرآن فى عهد النبوة ، فلقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق عدة أنه قال : استقرئوا (٢) القرآن من أربعة : «من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى ابن كعب ، ومعاذ بن جبل» ، وفى رواية : خذوا(٣) القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، ولم يكن ذلك إلا لأن هؤلاء الأربعة قد(٤) باينوا غيرهم من الصحابة فى جودة القراءة ، وصحتها والعلم بها .

وقد ذكر النووى(٥) أن السبب أن هؤلاء كانوا أكثر ضبطا لألفاظه ، وأتقن لأدائه ، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه صلى الله عليه وسلم

---

١ — أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٨٦ . —
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .

٢ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٥ باب مناقب عبد الله بن مسعود ص ٣٤ ، ٣٥ .
: وانظر جـ ٦ باب القراء من أصحاب الرسول ص ٢٢٩ ط . الشعب .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .

٣ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٥ باب مناقب أبى بن كعب ص ٤٥ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٥٢ .
— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ١ ص ٩٨٩ . —
— ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية
— الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٢ ص ٢٣٧ المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٧ هـ .

٤ — الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٣ .

٥ — شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٦ باب فضائل عبد الله بن مسعود ص ١٧ .

مشافهة ، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض ، أو لأن هؤلاءتفرغوا لأن يؤخذ عنهم ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم ، وأنهم أقعد من غيرهم فى ذلك فليؤخذ عنهم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليطلب من الصحابة أن يقصدوا عبد الله إذا طلبوا القرآن لو أنه قصر فى شىء منه ، أو فاته بعضه ، فما بالك والأدلة قد تضافرت لتؤكد أنه لم يكن هناك من ينازعه السبق فى العلم به ، ومعرفة أسباب النزول ومواضعه لكل آية من آياته ، بل إن الصحابة قد شهدوا له بذلك . ولم ينكر عليه أحد منهم أنه أعلمهم بكتاب الله . . .

روى البخارى عن شقيق بن سلمة ، قال(١) : خطبنا عبد الله فقال : والله لقد علم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت ردا يقول غير ذلك .

وأخرج ابن الأنبارى عن ابن مسعود قال(٢) : لو أعلم أحدا أحدث بالعرضة الأخيرة منى لرحلت إليه .

---

١ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (ص) ٢٢٩ ط . الشعب .

— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٩١ .

— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .

— ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام جـ ٥ ص ٧٩٥ .

٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١٠٦ .

وعن مسروق قال ، قال عبد الله(١) : «والله الذى لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله ، إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وقال أبو مسعود البدرى(٢) وقد قام عبد الله بن مسعود : ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم ، فقال أبو موسى : لقد كان يشهد إذا غبنا ، ويؤذن له إذا ما حجبنا .

وقال عبد الله بن بريدة فى قوله تعالى(٣) : حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا.قال آنفا» قال(٤) : هو عبد الله بن مسعود .

ولا يمنعنا هذا من أن ننظر فى أقوال من يعارضون هذا الرأى ، ويذهب بهم الظن إلى أن عبد الله لم يتم ختم القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١ — البخارى : الصحيح جـ ٦ باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ص ٢٣٠ ط الشعب .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٤٤ ط . بيروت .
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٨٠ ط . دار المعارف .
— ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .
— النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٠٩ .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .

٢ — صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ١٦ : باب فضائل عبد الله بن مسعود ص ١٥ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ ، جـ ٢ ص ٢٣٨ .

٣ — سورة محمد : آية ١٦ .

٤ — ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .

قال أبو إسحق(١) : سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف ؟ فقال : ما كان يحلها حتى قدم الكوفة ، قال : وقد قال بعض أهل العلم : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يتعلم المعوذتين . فلهذه العلة لم توجدا فى مصحفه ، بل(٢) إنه حجدهما .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن معدى كرب قال(٣) : أتينا عبد الله بن مسعود نسأله عن طسم الشعراء ، قال : ليست معى ، ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بأبى عبد الله خباب بن الأرت .

وهذه الأقوال ليست بصحيحة ، ويكفى فى التدليل على ذلك ما ذكرناه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بعبد الله حين أراد أن يبين المتميزين من الصحابة فى العلم بالقرآن ، وصحة قراءته ليتسنى للمسلمين أن يأخذوه عنهم . ولم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استثنى من القرآن سورة ما طالت أم قصرت . وذكر أبو بكر الأنبارى(٤) . أن حديث محمد بن كعب القرظى الذى عد عبد الله بن مسعود ممن ختموا القرآن ورسول الله حى مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ، ولا يعول عليه . لكن يدل على صحة الحديث قوله عليه السلام : خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد . كذلك أسند(٥) عاصم قراءته إلى على وابن مسعود ، وهما قد قرآ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستثن من جملة القرآن شيئا .

---

١ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٢ — أسند ابن قتيبة هذا الرأى إلى النظام ، وتولى الرد عليه .
انظر تأويل مختلف الحديث ص ١٨ — ٢١ .

٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٨٢ ، ص ١١٩ .

٤ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٥ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

وقد أقبل عبد الله على حفظ القرآن ، وأعانته على ذلك ذاكرة قوية ، فأتم حفظه(١)على عهد الرسول(٢) صلى الله عليه وسلم ،وعرف بهذا الفضل، وتلك المنقبة .

قال علقمة(٣) : جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات ، فقال : جئتك من الكوفة ، وتركت بها رجلا يحكى المصحف عن ظهر قلب ، فغضب عمر غضبا شديدا ، وقال : ويحك، ومن هو ؟، قال : عبد الله بن مسعود ، قال: فذهب عنه ذلك الغضب ، وسكن ، وعاد إلى حاله ، وقال : والله ما أعلم من الناس أحدا هو أحق بذلك منه ، وقال الزركشى(٤) : إن جمع عبد الله ابن مسعود القرآن أمر لا نشك فيه ، والدلائل على ذلك متظاهرة .

وقد نبه عبد الله أن حفظ القرآن لم يقف عند حد اختزانه واستظهاره، وإنما تجاوز ذلك إلى الإفادة منه ، والعمل به ، فتحلى بآدابه ، وتخلى عن نواهيه ، قال(٥) : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى

---

١ – ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٣٢ ، ٤٥٨ .
– القسطلانى : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٥٠٩ .
٢ – الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٣٤ .
٣ – ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٨٩ .
– أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٢٤ .
٤ – الزركشي : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ .
٥ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القران جـ١ ص ٨٠ .
– السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأنور جـ ١ ص ٣٤٩ .
– ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٨ .
– ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ١٨٨ .
– القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٩ .

يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وقال(١) : ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف حكمها ونهيها .

ولم يقف عبد الله بجهده عند حد قراءة القرآن وإقرائه ، وحفظه والعمل به ، وإنما حاز الأدوات التى تعين على الوقوف على معانيه ، فعرف أسباب النزول ، وأماكنه ، وكان يقول(٢) : سلونى عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، فى سهل نزلت أم فى جبل» . وكان لهذه المعرفة أثرها فى الوقوف على مقاصد الآيات ومعانيها» فإن(٣) العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

ومن الشواهد على ذلك ما نجده فى قوله(٤) : لما صرف نبى الله صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس ، قال المشركون من أهل مكة : تحير على محمد دينه ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلا ، ويوشك أن يدخل فى دينكم ، فأنزل الله جل ثناؤه(٥) «لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى» .

وعن شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال(٦) : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس

---

١ ـ الصنعانى : سبل السلام جـ ٢ ص ٤٧ .

٢ . القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .

٣ .. السيوطى : أسباب النزول ص ٥ .

٤ ـ الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ٢٠٣ .

٥ .. سورة البقرة : آية ١٥٠ .

. انظر شواهد أخرى لما روى عن عبد الله بن مسعود فى أسباب النزول .

السيوطى : أسباب النزول ص ١٠ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٥١ طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .

٦ ... النيسابورى : أسباب النزول ص ٧٩ ، ص ١٦٠ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٨ ، ص ١٨٠ دار الاتحاد العربى للطباعة .

ينتظرون الصلاة فقال : إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله فى هذه الساعة غيركم ، قال : فأنزلت هذه الآيات — ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون ..... إلى قوله : والله عليم بالمتقين .

ويمكننا أن نرد كثيرا من مرويات عبد الله إلى أصولها القرآنية ، فحين تقرأ قوله(١) «كذب النسابون» يتبادر إلى ذهنك قول الله تعالى(٢) «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله»

وأنت تجده فى قوله(٣) «العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور» متأثرا بقوله تعالى(٤) «فيه شفاء للناس» .

وفى قوله(٥) : «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» تراه قد تظر إلى قوله تعالى (٦) : «ا لم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ..... »

---

١ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٥٤٢ .

٢ — سورة إبراهيم : آية ٩ .

٣ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦١٩ .

٤ — سورة النحل : آية ٦٩ .

٥ — الطوسى : اللمع تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود مطبعة السعادة سنة ١٩٦٠ .

٦ — سورة البقره : اية ١، ٢، ٣

الفصل الثانى

السنة

يتمثل الرافد الثانى الذى أسهم فى تكوين ثقافة عبد الله بن مسعود فيما تعهده به النبى صلى الله عليه وسلم من تعليم الحديث والسنة على أفضل ما يطمح إليه الداعون إلى التربية الصحيحة ، والتعلم المثمر ، قال على : وقد سئل عنه(١) : علم القرآن والسنة، وكفى بذلك علماً .وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين(٢) فذكر أن له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين حديثا ، وقد جمعت(٣) أحاديث عبد الله فى مسند أحمد .

وقد أتيح لعبد الله أن ينال كثيرا من الدرس الدينى ، وهو يجلس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . قال(٤) : علمنى رسول الله التشهد كفى بين كفيه كما يعلمنى السورة من القرآن . وفى رواية(٥) : علمنا رسول الله (ص) إذا قعدنا فى الركعتين أن نقول «التحيات لله ... ... وذكر التشهد» ، وفى

---

١ – ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٣٤٦ .
– ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٩١ .
– الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٤٣ .

٢ – ابن حزم : جوامع السيرة ، وخمس رسائل أخرى له :
الرسالة الثانية : أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ٢٧٦ .

٣ – دائرة المعارف الإسلامية : مادة ابن مسعود جـ ١ ص ٢٧٥ .

٤ – صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٤ ص ١١٨ ، جـ ٣ ص ٢٥٧ المطبعة المصرية .
– فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٣ ص ٥٦ .
– البخارى : الجامع الصحيح جـ ٨ كتاب الإستئذان ص ٧٣ ط . الشعب .
– أحمد بن حنبل : المسند حديث رقم ٣٧٣٨ .
– النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ ط . بيروت .

٥ – الترمذى : سنن الترمذى جـ ٢ ص ٨١ .
– النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
– وانظر رواية أخرى عند أحمد بن حنبل : المسند : حديث رقم ٣٨٧٧ .

أخرى ، قال(١) : كنا نصلى خلف النبى (ص) فنقول السلام على الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» .

وقد تحرى(٢) الصنعانى لفظ التشهد ، وجزم بأنه ورد بلفظ «عبده ورسوله» فى جميع روايات الأمهات الست . وذكر أن ابن الأثير وهم فى جامع الأصول فساق حديث ابن مسعود بلفظ : «وأن محمدا رسول الله» ، ونسبه إلى الشيخين وغيرهما ، وتبعه على وهمه صاحب تيسير الوصول ، وتبعهما على الوهم الجلال فى ضوء النهار ، وزاد أنه لفظ البخارى .

وفى ضوء الأسس المنهجية التى وضعها المسلمون لنقد الخبر فإن حديث عبد الله فى التشهد قد رجح(٣) على غيره لأسباب عدة فطن إليها الأقدمون قال (٤) البزار : أصح حديث عندى فى التشهد حديث ابن مسعود ، يروى عنه من نيف وعشرين طريقا ، ولا نعلم أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد أثبت منه ، ولا أصح إسناداً ، ولا أثبت رجالا ، ولا أشد تظافرا بكثرة الأسانيد والطرق . .

---

١ – البخارى : الجامع الصحيح : كتاب التوحيد جـ ٩ ص ١٤٢ .
– ابن ماجة : سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٢٩٠ .
– النسائى : سنن النسائى جـ ٢ ص ٢٤٠ .
٢ – محمد بن اسماعيل الصنعانى : سبل السلام جـ ١ ص ٣٦٩ .
٣ – مالك : الموطأ : ص ٦٨ الطبعة الأولى ١٩٦٧ .
٤ – محمد بن اسماعيل الصنعانى . سبل السلام جـ ١ ص ٣٦٩ – ٣١٠ .

وقال مسلم : إنما أجمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه لايخالف بعضهم بعضا ، وغيره قد اختلف عنه أصحابه .

وقال محمد بن يحيي الذهلى : هو أصح ما روى فى التشهد ، وقد روى حديث التشهد أربعة وعشرون صحابيا بألفاظ مختلفة . اختار الجماهير منها حديث ابن مسعود .

وقد ذكر القرطبي(١) أن الثورى والكوفيين ، وأكثر أهل الحديث اختاروا تشهد ابن مسعود ، ثم أضاف أنه إذا كانت قد وردت نصوص أخرى عن التشهد عن عمر وابن عباس تختلف فى بعض كلمات منها ، فهذا كله اختلاف فى مباح ليس شىء منه على الوجوب .

وقد علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول بعد أن يفرغ من التشهد اللهم(٢) إنى أسألك من الخير ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه ، وما لم أعلم ، اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون. ربنا آتنا فى الدنيا حسنة... الآية .

وقد علم الرسول عبد الله خطبة الحاجة ، وقدورد ذكر ذلك فى سنن(٣) النسائى ، وسنن ابن ماجة .

---

١ . القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٦٤ .

٢ .. محمد بن إسماعيل الصنعانى : سبل السلام جـ ١ ص ٣٧٠ .
وانظر دعاء آخر كان يعلمه الرسول لعبد الله ليدعو به بعد التشهد أيضا .
المرجع السابق ص ٣٧٧ .

٣ .. النسائى : السنن جـ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ، جـ ٦ باب النكاح ص ٨٩
. انظر حاشية السندى على سنن النسائى جـ٦ ص٨٩
.. ابن ماجة : السنن جـ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠

قال عبد الله(١) : علمنا خطبة الحاجة ، الحمد لله نستعينه، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات(٢) : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . يا أيها(٣) الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا . (٤) ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا .

وكان الوضوء مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال علقمة(٥) ، قال لى عبد الله بن مسعود : قم فصب على حتى أريك وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى : قم فصب على حتى أرياك وضوء جبرائيل عليه السلام .

---

١ — النسائى : السنن ج ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ،
ج ٦ باب النكاح ص ٨٩ .
وانظر حاشية السندى على سنن النسائى ج ٦ ص ٨٩ .
— ابن ماجة : السنن ج ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .
— وانظر السيوطى . الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١١٧ فى تفسير قوله تعالى (وبث منهما رجالا) سورة النساء : آية ١ .
٢ — سورة آل عمران : آية ١٠٢ .
٣ — سورة النساء : آية ١ .
٤ — سورة الأحزاب : آية ٧٠ .
٥ — انظر بقية الحديث : النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
— راجع ما أورده البخارى فى صحيحه : كتاب الاستئذان ج ٨ ص ٦٣ ، ص ٦٤ ط . الشعب .

كذلك تعلم عبد الله من النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يفعله فى صلاته ، وما كان يقوله فيها . قال(١) : مر بى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا واضع يدى اليسرى على اليمنى ، فأخذ بيدى اليمنى ، فوضعها على اليسرى . وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكبر فى كل رفع ووضع ، وقيام وقعود، ويسلم عن يمينه وعن شماله ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى أرى بياض خده .

وكان عبد الله لا يحس بشيء حاك فى صدره إلا وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولم يكن(٢) يسأله عن شيء حتى يحدث إليه ، وقد وضحت رغبته فى التعلم منذ بدء إسلامه ، قال(٣) : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ، قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تزانى بحليلة جارك ، فأنزل الله تصديقها(٤) : «والذين لا يدعون مع الله إله آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما» ، وعنه أنه قال(٥) : سألت رسول

---

١ — ابن ماجة : السنن ج ١ ص ٢٦٦ .
— النسائى : السنن ج ٢ كتاب الافتتاح ص ١٢٦ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ٢ ص ٤٠١ .
— ابن حنبل : المسند : حديث ٣٧٣٦ .

٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٨٩ ط بيروت سنة ١٩٦٦ .

٣ — البخارى : الجامع الصحيح : ج ٩ كتاب التوحيد ص ١٨٦ ، ١٩٠ .
: ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ص ٢٠٤ ط . الشعب .

٤ — سورة الفرقان : آية ٦٨ .

٥ — البخارى : الجامع الصحيح : ج ٤ كتاب الوصايا ص ١٦ .
— أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٤١ حديث رقم ٣٨٩٠ .
- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٠ .

الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على ميقاتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استزدت لزادنى .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم من جانبه يستثير فيه الرغبة فى معرفة ما يود أن يعلمه له ، سأله(١) مرة : كيف بك يا عبد الله إذا كان عليكم أمراء يضيعون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها ، قال : كيف تأمرنى يارسول الله ؟ قال : تسألنى ابن أم عبد ، كيف تفعل ؟ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله عز وجل ، وقال عبد الله(٢) : قال لى رسول الله «ص» يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال ، أتدرى أى الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا فى دينهم ، ، قال : يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله . قال : أتدرى أى الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أعلم النـــاس أبصرهم بالحق . إذا اختلف الناس ، وإن كان مقصرا فى العمل . وإن كان يزحف على إسته .

وقد وضح أثر الحديث فى فكر عبد الله وعقله ، فكان يصدر عنـه فى كثير مما يسأل فيه ، قال(٣) عون بن عبد الله ، سألت الأسود بن يزيد هل

---

١ — أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٤٠ حديث رقم ٣٨٨٩ .

٢ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٥٣ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٧٥ .

٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٧٨ .

كان ابن مسعود يفضل عملا على عمل ، قال : نعم ، سألت ابن مسعود ، قال : سألتنى عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله أى الأعمال أحبها إلى الله ، وأقربها من الله ، قال : الصلاة لوقتها ... .الحديث .

الفصل الثالث

الدرس اللغوى

كان عبد الله بن مسعود يدرك عظم المسئولية التى يتحملها من يوقف نفسه على النص القرآنى ، ويتصدى لإقرائه وتعليمه ، ذلك لأن الخطأ فى قراءة النص الدينى بعامة ، والقرآن بخاصة أمر فاحش ومستهجن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لحن(١) : «أوشدوا أخاكم فإنه قد ضل» فسمى اللحن ضلالا ،وقال عليه السلام: «رحم الله امرأ أصلح من لسانه» .

ولما كانت لهجات الكلام عند القبائل(٢) «لا تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن ، ونظم بها الشعر» ، فقد أقبل عبد الله على التفقه فى اللغة مثلما أقبل على التفقه فى الدين ، وعكف على الشعر يقرأه ليزداد بصرا بطرائق العرب فى أسلوبهم ، ومناحيهم فى اللغة ، يقول ابن سعد(٣) : «كان ابن مسعود يعنى بالعربية والشعر ، وقد كان يسأل فى ذلك زر بن حبيش ، وكان أعرب الناس» .

وفى وسعنا أن نقف على أبعاد الدرس اللغوى لعبد الله بن مسعود ، ولن نجد صعوبة فى رد عناصره إلى أصولها ، ويمكن أن نعد منها لغة هذيل ، ولغة

---

١ -- ابن جنى : الخصائص جـ ٣ ص ٢٤٦ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية . حدث بهذا الحديث عمر رضى الله عنه ، وكان مر على قوم يسيئون الرمى فقرعهم فقالوا : إنا قوم متعلمين ، فأعرض عنهم ، وقال : والله لخطؤكم فى لسانكم أشد على من خطئكم فى رميكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فذكر الحديث . انظر هامش الخصائص جـ ٣ ص ٢٤٦ .

٢ -- إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٨٤ .

٣ -- ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ٧١ .

.. ابن قتيبة : المعارف ص٤٢٧

الحجاز ، ثم اللغة المشتركة ، ومع أنها تختلط فيما بينها إلا أننا نستطيع أن نتبين ملامح كل منها فى ثقافته :

أولا : لغة هذيل (١) :

لا يمكننا أن نحيط بما كانت عليه هذيل حين تنطق لغتها ، كما لا يمكننا القطع بخصائصها فيما كانت تتكلم به ، فالميراث الثقافى لها شأنها فى ذلك شأن سائر القبائل العربية قد وصلنا مدونا ، وبذلك يصعب الاستدلال منه على الطريقة التى كان يؤدى بها ، ولو أن امكانات العصر ساعدت على نقل اللغة مسموعة ، وسجلتها منطوقة بأصوات أصحابها لأدى ذلك إلى معرفة نظامهم فيها وأدائهم لها ، وعندئذ كانت تتحدد خصائصها وسماتها ، وحيث أن ذلك لم يكن ، فليس أمامنا من سبيل إلى تبين لغة هذيل ، ورصد مستوياتها إلا بالتنقير عن الظواهر التى تميزها فى شعر الهذليين بعامة ، وفيما تضمنته كتب اللغة ومعاجمها ؛ وعلينا بعد ذلك أن نتتبعها فى قراءة عبد الله .

والواقع أن هذيلا كانت ضمن القبائل التى نزل القرآن بلغاتها لما عرفت به من صفاء اللغة ، وفصاحة اللسان ، وسلامة النطق .

فقد ورد فى معنى(٢) الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن أن المقصود سبع لغات من لغات العرب هى أرقاها إذ كان(٣) معلوما أن ألسنتها ولغاتها

---

١ — كان القدماء يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حينا ، و «باللحن» حينا آخر انظر دكتور إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ص ١٦ المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٣

٢ — راجع بحثا وافيا فى الأحرف السبعة فى كتابنا الاتجاهات الفكرية فى التفسير . ص ٢٨ — ٤٦ .

٣ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٤٦ ، ٤٧ .

أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه ، وتجمع المصادر المتاحة على اعتبار هذيل إحدى هذه القبائل السبع التى نزل القرآن بلغتها ، وقيل هى(١): قريش وكنانة ، وأسد ، وهذيل ، وتميم ، وضبة ، وقيس» وقيل(٢) هى قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ،واليمن» .

وقد كان ما تميزت به هذيل من سلامة النطق سببا فى موقف عثمان حين عزم على كتابة المصاحف، قال للرهط الذين وكل إليهم العمل(٣) : اجعلوا المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف .

كذلك ورد ذكر هذيل ضمن القبائل التى خلصت لغاتها ، فاتجه العلماء إلى أخذها عنها ، قال الفارابى(٤) «والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب ، هم قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

---

١ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٥ .
– راجع ما أورده السيوطى فى شأن تحديد القبائل السبع و ورود هذيل فى كل الآراء التى ذكرها .
– السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٤٩ .

٢ – ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٢٤ مطبعة مصطفى محمد .

٣ – ابن فارس : الصاحبى ص ٢٧ ، ٢٨ . مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠ .

٤ – انظر السيوطى : المزهر ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وفيما يخص أمر هذيل ، فإن رواة اللغة. بعامة وأبا عمرو بن العلاء بخاصة كانوا يتجهون إليها ليأخذوا اللغة من أبنائها لأن(١)شبهات الحضر بعدت عنها ، فهى من (٢) أهل السروات ، كذلك كان الأصمعى(٣) حريصا على شعر الهذليين ، فلما سمع(٤) بالشافعى ،وكان أحسن الناس معرفة بأشعار هذيل رحل إليه ، وصححه عليه .

وقد غلبت الغرابة على لغة هذيل ، لكن الأمر فيها ليس كما حكم القزوينى فى قوله (٥) : «أما فصاحة المفرد فهى خلوصه من تنافر الحروف والغرابة» فالغرابة(٦) ليست مما يفسد فصاحة الكلمة ،وما يدرينا أن هذه الألفاظ التى ننكر غرابتها اليوم لم تكن كذلك على عهد القوم بها ، وقد يرجح ذلك ما نحسه فيها من مهابة حين نقف على معانيها .يقول أحمد زكى : « أما (٧) الهذليون فكانوا يتكلمون عن طبع أصيل ،وبكلمات يتداولونها فى باديتهم فجاءت غرابتهم عن أصالة تحمل من معانى الحياة جمالا كثيراً»وقد ظلت هذه السمة تلازم أبناء هذيل فى الإسلام، فكان المخضرمون منها يؤثرونها .

---

١ — دكتور عبد الحميد الشلقانى : مصادر اللغة ص ٩٩ مطبعة جامعة الرياض سنة ١٩٨٠ .
٢ — الأصفهانى : الأغانى جـ ١ ص ٣٨٤ ط . دار الكتب .
— الدكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٥٣٥ طبعة سنة ١٩٧٠ .
— راجع منازل هذيل وديارها وجبالها :
— عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة جـ ٣ ص ١٢١٣ مادة هذيل .
٣ — دكتور عبد الحميد الشلقانى : مصادر اللغة ص ١٠٢ ، ١٧٨ .
٤ — ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ٢٨٦ ، ٢٩٩ .
٥ — القزوينى : الإيضاح فى علوم البلاغة جـ ١ ص ٣٠ مطبعة محمد على صبيح .
٦ — أحمد كمال زكى : شعر الهذليين فى العصر الجاهلى والإسلامى ص ٢٣٧ .
٧ — المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

وقـــد حدثتنا المصادر عن غرابة لغة هذيل ، وأن القوم كانوا يتوقفون فيها عندما تقابلهم فى القرآن ، وربما سألوا فيها ، فيأتيهم من هم من هذيـل بخبرها عندهم ، ودلالتها فى لغتهم ، فيتضح المعنى عندئذ ويستقيم فهمه .

روى أن عمر قال على المنبر(١) : ما تقولون فى قوله تعالى(٢) : «أو يأخذهم على تخوف» فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ، قال : نعم ، شاعرنا أبو كبير يصف ناقته فيقول :

تخـوف الرحـل منهـا تامكا قـــردا
كـما تخـوف عـــود النبعـة السفـــن

كذلك وقف(٣) ابن عباس أمام كلمة «تخوف» نفسها ، حتى جاءه هذلى يشكو أخاه إليه قائلا :

تخوفنى مـــالى أخ لى ظـــالم
فـلا تخذلـنى المـــال ياخـير من بـــقى

فقال ابن عباس : تخوفك : تنقصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ، «أو يأخذهم على تخوف» أى تنقص من خيارهم .

---

١ — البيضاوى : تفسير القرآن الكريم ص ٢٦٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ م .
٢ — سورة النحل : آية ٤٧ .
٣ — التامك : المرتفع من السنام ، القرد : المتلبد بعضه على بعض ، السفن : المبرد .
٤ — القالى : الأمالى جـ ٢ ص ١١٢ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .
— السيوطى : المزهر جـ ٢ ص ٢١١ ط . الحلبى سنة ١٩٥٨ .

وجاء رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس(١) : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد ، وثلاثة من الوراء ، فقال ابن عباس : «فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب» قال : ولد الولد .

وقد كانت لغة هذيل ، وما تفردت به من خصائص مثار لفت للعلماء فعكفوا عليها ، ودرسوها ، وأنت تجد فى كتاب الخصائص إشارة إلى ما اضطلع به ابن جنى(٢) فى هذا الصدد، وهو يعرض لتعارض السماع والقياس، فقد ذكر أنه استوفى هذه الظاهرة فيما أسماه «كتابنا فى شعر هذيل» .

وكذلك عندما تحدث عن تخصيص العلل أشار إلى أنه عرض لبعض ما ذكره فى الباب فى كتابه(٣) «ديوان هذيل» .

وقد عرف عن الهذليين أنهم يجرون فى لغتهم على استبدال حرف بآخر ، ويجعلون العين الساكنة نوناً قبل طاء ، أو ما سمى بالفحفحة والاستنطاء ، فأما الفحفحة ، فهى(٤) إبدال الحاء عينا فتنطق حتى «عتى» ، جاء فى اللسان عتى(٥) : بمعنى حتى هذلية وثقفية ، وإبدال الهاء عينا فتقول فى هل «عل» .

---

١ – الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ١١٣ طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٧ .

٢ – ابن جنى : الخصائص : جـ ١ ص ١٢٤ الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة .

٣ – ابن جنى : الخصائص : جـ ١ ص ١٥١ .

٤ – الزبيدى : تاج العروس جـ ١ المقدمة ص ٨ .

– السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها جـ ١ ص ٢٢٢ ط . دار إحياء الكتب العربية

٥ – ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا جـ ١٥ ص ٢٨ .

– ابن جنى : المحتسب جـ ١ ص ٣٤٣ .

وقد انحصرت ظاهرة الفحفحة فيما روى عن عبد الله بن مسعود فى قلب الحاء عينا فى كلمة حتى وحدها ، فقرأ قوله تعالى «حتى حين» عتى(١) حين فى جميع(٢) المواضع ، وأقرأ بذلك(٣) ، فأرسل إليه عمر(٤)إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل .

ومما يعد من هذه الظاهرة أنه قرأ على المنبر(٥) «وطلع منضود» بالعين فى موضع(٦) «وطلح منضود» قال ابن سيده(٧) : «والطلح لغة فى الطلع» .

وقد ثار شك حول نسبة هذه الظاهرة لهذيل ، ويدلل من(٨) يذهب إلى

---

١ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .

٢ – راجع المواضع التى ورد فيها قوله تعالى «حتى حين» .

سورة يوسف : آية ٣٥ ، سورة المؤمنون آية ٢٥ ، ٥٤ ، سورة الصافات آية ١٧٤، ١٧٨ ، سورة الذاريات آية ٤٣ .

٣ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٠٧ .

ونحن بذلك نختلف مع من يقول : لعل ابن مسعود سمع من النبى صلى الله عليه وسلم هذه القراءة فى هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن فى غير سورة «يوسف» مع تكرر (حتى حين) فى غيرها . الدكتور عبد العال سالم على : أثر القراءات فى الدراسات النحوية ص ٣٥ .

٤ – ابن جنى : المحتسب جـ١ ص ٨٣ .

– السيوطى : المزهر جـ ١ ص ١٠٩ .

– الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .

– ابن منظور : لسان العرب مادة عتا جـ ١٥ ص ٢٨ .

٥ – أبو حيان : البحر المحيط : جـ ٨ ص ٢٠٦ .

٦ – سورة الواقعة : آية ٢٩ .

٧ – ابن منظور : لسان العرب : مادة طلح جـ ٢ ص ٥٣٣ .

٨ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٠٨ ، ١٤٩ .

ذلك بما كان بين هذيل وقريش من صلة وثيقة قبل الإسلام ، تجلت فيما رواه ابن الكلبي من تقديس قريش «مناة» وقد كان صنم هذيل ، وتقديس هذيل هبلا ، وقد كان صنم قريش ، هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز ،واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة . كما أن التسمية عنده ، تحمل على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة ، فكلمة الفحفحة إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة ، والعجعجة تكشف عن أن الحرف التالى فى كل من هـــذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه ، وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين إلى الحاء لا العكس .

كذلك ثار شك فى نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود ، فقد روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة ، أى قلب العين إلى حاء فى قوله تعالى(١) : «قالوا نعم» قرأه ابن مسعود «قالوا نحم» ، وفى قوله تعالى(٢) : «إذا بعثر ما فى القبور» قرأه(٣) «إذا بحثر ما فى القبور» .

ولنا أن نتساءل عن السبب فى اتخاذ موقف الشك من هذه الظاهرة وإفراد هذيل بها .

الواقع أن تأثر هذيل بلهجة البيئة الحجازية لا يعنى نفى تفردها بخصائص لغوية عرفت بها ، كما أن قراءة ابن مسعود «عتى حين» تظاهرت المصادر على إثباتها ، ونسبتها إليه . أما ما روى عنه مما يخالف هذه الظاهرة ، فتعليله أن عبد الله كان معلماً للقرآن فى وسعه أن يراوح بين اللهجات شأن المعلم المقتدر .

---

١ ـ سورة الأعراف : آية ٤٤ .

٢ ـ سورة العاديات : آية ٩ .

٣ . ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٨ .

لكن ماذا نقول فى أن قلب الحاء وهو صوت مهموس إلى العين وهو صوت مجهور لا يتفق مع ما كانت عليه هذيل من تحضر .

أكبر الظن أن هذا الاعتراض ربما يزول لو أننا أدركنا أن رصد هـذه الظاهرة وتتبعها يكشف(١) عن انحصارها فى هذا النطاق الضيق ، فلقد قلب عبد الله الحاء فى «حتى» بينما تركها دون قلب فى «حين» مما يشير إلى أنها لم تكن فاشية .

ويمكن تفسير الموقف بأن الفحفحة(٢) لم تكن عند كل بطون هذيل ، ونطق بها بعضها قليلا فلم تنتشر .

وربما كانت فيه(٣) دلالة على أنه كان من المرغوب فيه دائماً أن يعمل عبد الله على نشر النص القرآنى خاليا من الخصائص اللهجية .

ولم يكن هذا الالتزام يقتصر عليه وحده ، وإنما كان حكما عاماً يأخذ المسلمون أنفسهم به وبخاصة بعد أن استقر القرآن على حرف واحد فى العرضة الأخيرة . فى قوله تعالى(٤) «وطلح منضود» روى عن على أنه قال(٥) «ما شأن الطلح ؟ إنما هو «وطلع منضود» ثم قرأ (٦) «طلعها هضيم» فقال له

---

١ — انظر أدلة وافية عند الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٣٨ — ١٤٠ .

٢ — الدكتور أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠١ .

٣ — الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .

٤ — سورة الواقعة : آية ٢٦ .

الطلح شجر الواحدة طلحة — الراغب الأصفهانى: مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ دار الكتاب العربى .

٥ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٧ ص ٩٣ .

٦ — وزروع ونخل طلعها هضيم (سورة الشعراء آية ١٤٨) أى ما طلع منها ، والنخل باسقات لها طلع نضيد «سورة ق : آية ١٠» أى ما طلع منها .

الراغب الأصفهانى : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ .

الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى ، فقال على : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول» .

وناحية أخرى قد يحتملها الموقف وهى أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهذلى فقرأ(١) «حتى حين» كما قرأ من غير أن يسمعها من النبى صلى الله عليه وسلم ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل ، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك روايات تسند إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأنت حين تقرأ ديوان الهذليين لتقف على الصفات التى عرفت بها لهجة هذيل(٢) «لا تكاد تعثر على أثر لها فى أشعارهم ، وكل الذى نراه فى الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل» . غير أننا يجب ألا ننسى أن اللغة الأدبيـة المشتركة ربما كانت السمة الغالبة عليها أنها خلت من الخواص المميزة للغات القبائل .

كما أن الأمر فى حتى أوضحه ابن منظور فى قوله(٣) : عتى بمعنى حتى هذلية وثقفية ، مما يقطع بأن نطقها بالعين لم يكن خاصة تفردت بها لغة هذيل وحدها ، فربما استعارتها من ثقيف لأن الظواهر اللغوية تتفشى بالاحتكاك والمخالطة ، وربما جرت على لسان عبد الله كأثر لنضح البيئة فى لغته أو لما ذكرناه من تصديه للتعليم، ولا يمنعنا ذلك من النظر فى رأى من يقولون(٤) :

---

١ — الدكتور عبد العال سالم على : أثر القرآن فى الدراسات النحوية ص ٣٥ .

٢ — الدكتور إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٤٣ ، ٤٤ .

٣ — ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا ج ١٥ ص ٢٨ .

٤ — الدكتور عبد الهادى الفضلى : القراءات القرآنية : تاريخ وتعريف ص ٦٤ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

إن قراءة ابن مسعود «عتى حين» اقتصرت على الآية ٣٥ من سورة يوسف مع مجئ حتى فى مواضع عدة ، فإن ذلك يدل على أن القراءة ليست اجتهادا ، ولو أنها كانت كذلك لاطردت قراءة حاء حتى عينا فى جميع مواضعها من القرآن الكريم من قبل ابن مسعود أو غيره من القراء ، وعلى ذلك يكون ابن مسعود قد سمع هذه القراءة من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية فقط ، ولذا تقيد بها فى موضعها فحسب .

وأما ما سمى الاستنطاء فهو ظاهرة صوتية ذكر الزبيدى(١) أنها لغة خمس قبائل هى : سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار ،وهؤلاء من قبائل اليمن ماعدا هذيل ، يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاوزت الطاء كأنطه فى أعطه ، ومنطى فى معطى ، وفى الحديث «اليد المنطية خير من اليد السفلى»(٢) ، ومن العسير أن نبرر استنطاء هذيل فى فعل واحد من بين أفعال اللغة ، وليس فى مجاورة العين للطاء أمر غير عادى ، فقد رويت هذه المجاورة فى كثير من الأمثلة ، ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل أعطى ، بل يتعلق بنطق كل «عين» سواء وليها «طاء» أو صوت آخر ، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفميا ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون ، وليست فى الحقيقة نوناً بل هى «عين»

---

١ – الزبيدى : تاج العروس : المقدمة ص ٨ .
– وراجع مادة نطو ج ١٠ ص ٣٧٣ من المصدر نفسه .
– وراجع اللسان فى مادة «نطا» ج ١٥ ص ٣٣٢ .
– – والسيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ج ١ ص ٢٢٢ .
٢ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٤١ ، ١٤٢ .

أنفمية ، وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل أعطى «فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها» .

ومما يرجح ذلك أن الاستنطاء لم يظهر(١) فى شعر هذيل ، فإذا صح ما قيل من أن هذيلا كانت بمن تأخذ به فلا يبعد أن يكون من يعنى به رهط صغير منها جاور اليمن ، أو تكون هذيل اليمن ، فقد كانت ثمة قبيلة يمنية تحمل هذا الاسم .

على أية حال فإن هذه الظاهرة قد ظهرت فى قراءة عبد الله(٢) «إناأنطيناك فى موضع(٣) «إنا أعطيناك» وفى قراءته(٤) «وأنطاهم تقواهم» يريد» وأعطاهم فى موضع(٥) «وآتاهم تقواهم» .

ومما عرف من إبدال هذيل ما ذكره ابن دريد من أن هذيلا تبدل الواو المكسورة التى فى أول الكلمة همزة ، فتقول(٦) : إشاح فى معنى وشاح ، وتقول فى وفادة(٧) : إفادة ، وفى وسادة : إسادة ، وقد قرر أبو حيان(٨)

---

١ ــ أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ .
٢ ــ أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٥١٩ .
٣ ــ سورة الكوثر : آية (١) .
٤ ــ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤١ .
٥ ــ سورة محمد : آية (٧) .
٦ ــ ابن دريد : جمهرة اللغة ج ٢ مادة حشو ص ١٦١ .
ــ ابن السكيت : كتاب الإبدال : باب الهمزة والواو ص ١٣٨ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٨ م .
٧ ــ انظر حاشية الصبان على الأشمونى ج ٤ ص ٢٢٢ مطبعة مصطفى محمد ، وانظر ابن جنى : سر صناعة الاعراب ص ١٠٤ .
٨ ــ أبو حيان : البحر المحيط : سورة يوسف آية ٧٦ ج ٥ ص ٣٣٢ .

أن ذلك مطرد فى لغة هذيل ، غير أن إشاح(١) لم ترد فى شعرهم ، ولا يعثر عليها فى شىء منه .

وقد نسب صاحب اللسان هذه الظاهرة إلى بنى تميم فقال(٢) : «الوقط والوقيطة حفرة فى غلظ أو جبل يجتمع فيه ماء السماء والجمع وقطان ووقاط وإقاط ، والهمزة بدل الواو ، ولغة تميم فى جمعه إقاط مثل إشاح ، يصيرون كل واو تجىء على هذا المثال ألفا .

كذلك لم أقف على هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله، ولا سبيل إلى التوفيق بين كل ما ذكرناه إلا أن نقول : إن هذه الظاهرة إن صحت نسبتها إلى هذيل فإن هذيل المعنية ليست الأصيلة ، ولكنها اللصيقة التى ذكروا أنها كانت فى اليمـــن .

وتجمع العرب كل اسم على وزن فعلة المعتلة العين جمعا مؤنثا سالماً إذا كان مفتوح الفاء ، وعينه واو ساكنة أو ياء ساكنة كجوزة وبيضة على فعلات كجوزات ، وبيضات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة ، قال تعالى(٣) «فى روضات الجنات» ، ولكن(٤) هذيلا تفتح عين جوزات ، وبيضات ونحوهما . ومن ذلك قراءة بعضهم(٥) «ثلاث عورات لكم» بفتح الواو ، وجاء على هذا قول الهذلى :

---

١ ـ أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠٢ .

٢ ـ ابن منظور : لسان العرب جـ ٩ ص ٣١٢ .

٣ ـ سورة الشورى : آية ٢٢ .

٤ ـ ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ٦٩ .

ـ ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جـ ٣ ص ٢٥٣ .

٥ ـ سورة النور : آية ٥٨ ...

أخو بيضات رائـــح متأوب رفيـــق بمسح المنكبين سبوح

ولو كانت فعلة المعتلة العين صفة نحو جونة وغيلة ، فقد قال النحاة إن هذيلا جرت مع سائر العرب على القياس فى تسكين العين .

وقد استقصيت البحث فى كتب التفسير والقراءات فلم أعثر على قراءة تنم عن نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل ، كما أن نسبة(١) الشاهد الذى نسبوه إلى شاعر هذلى ، ولم يعينوه غير صحيحة ، فهو غير موجود فى أشعار الهذليين ، كذلك لم أعثر على قراءة لابن مسعود تقوم عليها ، وكنت أتوقع أن يسمح الدرس اللغوى له أن يقرأ «عورات» ، و «روضات» بفتح الواو جريا على ما قيل من أن ذلك لسان هذيل ، مما جعل شيئا يحيك فى صدرى حتى وقعت على رأى لابن خالويه نسب فيه هذه الظاهرة إلى تميم ، فغلب عندى ، قال بعد أن أورد قراءة عورات بفتح الواو(٢) «سمعت ابن الأنبارى يقول : قرأ به الأعمش ، وسمعت ابن مجاهد يقول : هو لحن ، فإن جعله لحنا وخطأ من قبل الرواية ، وإلا فله مذهبه فى العربية ، بنو تميم تقول : روضات ، وجوزات ، وعورات ، وسائر العرب بالإسكان ، وهو الاختيار لئلا تنقلب الواو ألفا لتحركها ، وانفتاح ما قبلها .

وقد عرفت هذيل كسر حرف المضارعة ، قال أبو جعفر الطوسى(٣) : «إن كسر حرف المضارعة لغة هذيل» ومع هذا لم يظهر فى قراءات عبد الله ، كذلك استعملت هذيل الكسر حيث تستعمل لهجات أخرى الضم ، يقول(٤)

---

١ — انظر محمد محيى الدين عبد الحميد : هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك جـ ٣ ص ٢٥٣ مطبعة السعادة .

٢ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٣ .

٣ — أبو حيان : البحر المحيط : جـ ١ ص ٢٤ .

٤ — الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٧٤ .

الفراء : «فأما الضم فكثير ، وأما الكسر فلهذيل ، وقرأ عبد الله(١) : «فصرهن» بكسر الصاد فى(٢) «فصرهن إليك »بضم الصاد.

كما أن المشهور فى «نعما» كسر النون وإسكان العين ، ولكن(٣) هذيلا تحرك العين ، وتتبع حركة النون بحركتها ، وهذا وجه قراءة الجمهور قوله تعالى(٤) : «إن الله نعما يعظكم به» ولم يرد عن عبد الله ما يخالفها .

ولكن لهجة هذيل لم تخل من الضم ، فعند بناء الفعل الثلاثى المعتل العين نحو قال وباع للمجهول ، يقال : قيل وبيع بإخلاص الكسر ، ولكن هذيلا(٥) تشارك بنى دبير ، وبنى فقعس ، وهما من فصحاء بنى أسد فى إخلاص ضم ما قبل العين ، وقلب العين واوا ،يقولون : قول ، بوع .

وتقول العرب فى جمع «الذى» الذين مطلقا ، فيكون بالياء رفعاً ،ونصبا وجرا ، أما هذيل(٦) فلغتها «الذون» رفعا ، أى يكون بالواو رفعاً ، وبالياء جرا ونصبا .

والأمر نفسه فى اللائين ؛ فبعض هذيل(٧) يقولون اللاءون فى الرفع ، واللائين فى النصب والجر .

وربما كانت نسبة(٨) هذه الظاهرة لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل

---

١ — ابن منظور : «لسان العرب» جـ ٦ ص ١٤٩ .

٢ — سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

٣ — أبو حيان : البحر المحيط جـ ٢ ص ٣٢٤ .

٤ — سورة النساء : آية ٥٨ .

٥ — راجع شرح ابن عقيل وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد جـ ١ ص ٤٤٤ — ٤٤٦ .

— ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جـ ١ ص ٣٨٥ .

— أبو حيان : البحر المحيط جـ ١ ص ٦١ .

٦ - ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ١٤٢ .

٧ - ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ١٤٤ .

٨ - إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٩٣ .

البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهى أقرب إلى التأثر بلهجة تميم ومن على شاكلتهم ممن كانوا يميلون إلى الضم .

وعرف عن هذيل أنها تقلب(١) ألف المقصور ياء وتدغمها فى ياء المتكلم ، وتفتح ياء المتكلم ، فتقول عصى فى عصاى ، وفتى فى فتاى ، وهوى فى هواى ، ويستشهدون على ذلك بقول أبى ذؤيب(٢) .

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقال أبو حيان(٣) فى تفسير قوله تعالى «فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» قرأ عاصم الجحدرى ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، وعيسى بن أبى عمر : «هدى» بقلب الألف ياء ، وإدغامها فى ياء المتكلم إذ لم يكن كسر ما قبل الياء ، لأنه حرف لا يقبل الحركة ، وهى لغة هذيل» .

والأمر من خلال الدرس اللغوى الحديث لا يعدو أن قبيلة هذيل(٤) التزمت الطور الأول لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها .

وكان عبد الله يحمل الألفاظ على دلالتها فى لغة هذيل ، ففى قوله تعالى : «أو(٦) لامستم النساء» قال(٥) : اللمس ما دون الجماع ، والقبلة منه ، وفيها الوضوء ، وفى قول هو الغمز ، وهذيل تقول : اللمس باليد .

---

١ – شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٩٠ مطبعة السعادة الطبعة ١٤ سنة ١٩٦٥ .
– ابن منظور : لسان العرب مادة هوا

٢ – السكرى : شرح أشعار الهذليين جـ ١ ص ٧ .
– الديوان : جـ ١ ص ٢ .

٣ – أبو حيان : البحر المحيط : جـ ١ ص ١٦٩ .

٤ – أنظر الأدوار التى مر بها صوت اللين المركب. الدكتور إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٥ – سورة النساء : آية ٤٣ .

٦ – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

ولعل سائلا يسأل عن السبب فى أن بعض الظواهر اللغوية التى عرفت بها هذيل قد ظهرت فى قراءة عبد الله فى حين أن بعضها الآخر لم يرد فيما نسب إليه من قراءات .

الواقع أن هذا الملحظ يؤكد حقيقة نود لها أن تقر فى النفوس ، وهى أن أحدا من الصحابة الذين اشتهروا بالإقراء لم يكن حرا فى أن يقرأ القرآن بلغته أو بغيرها ، وإنما مدار الأمر هو السماع (١) من النبى صلى الله عليه وسلم ، والأمر يحتمل أن غلبة الظاهرة ، وتفشيها فى هذيل بعامة ، إنما يعنى أن عبد الله قرأ بها ، ويترتب على ذلك ما نذهب إليه من أن نشأة القراءات ترجع إلى اللهجات أو اللغات التى نزل بها القرآن وليس إلى لغات القبائل دون ما قيد أو ضابط .

ثانيا : لغـــة الحجاز :

هناك خصائص غالبة على لغة الحجاز تكاد تسلك قبائله على تفاوت بينها ، وليس من قصدى أن أحصر هذه الخصائص هنا ، ولكنى أود أن أعرض لجانب منها يمكن تتبعه فى قراءات عبد الله لنرى الروافد التى امتدت بينه وبين بيئته ، ومدى تمثله للغتها ، وتمثيله لها . ذكر النحاة أن إعمال «ما» عمل «ليس» لهجة الحجاز ، وأن إهمالها لهجة تميم ، يقول سيبويه(٢) : «هذا باب ما أجرى

---

١ – ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ٢٢ المطبعة البهية سنة ١٣٤٨ هـ .

– راجع بحثا وافيا عن نزول القرآن على سبعة أحرف فى كتابنا : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ٢٨ – ٤٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ .

٢ – سيبويه : الكتاب جـ ١ ص ٢٨ الطبعة الأولى – مطبعة بولاق سنة ١٣١٦ هـ .

– يوضح ابن الأنبارى وجه الشبه بين ما وليس فى لغة أهل الحجاز . فيقول إن وجه الشبه بينهما من وجهين : أحدهما أن «ما» تنفى الحال كما أن «ليس» تنفى الحال ، والوجه الثانى أن ما تدخل على المبتدأ والخبر كما أن «ليس» تدخل على المبتدأ والخبر . ويقوى هذه المشابهة بينهما دخول الباء فى خبرها كما تدخل فى خبر ليس «أسرار العربية» ص ١٤٣ .

مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثم يصير إلى أصله» ، وذلك الحرف «ما» تقول : ما عبد الله أخاك ، وما زيد منطلقا ، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو القياس لأنها ليست بفعل ، وليس ما كليس ولا يكون فيها إضمار ، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناهما كمعناها .

وقد أوضح ابن جنى علة إعمال ما عند الحجازيين ، وإهمالها عند التميميين فى قوله : فكأن(١) أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول ليس عليها ، ونافية للحال نفيها إياها ، أجروها فى الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها ، وكأن بنى تميم لما رأوها حرفا داخلا بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ، ومباشرة لكل واحد من جزأيها كقولك ما زيد أخوك وما قام زيد ، أجروها مجرى هل ، ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفى دخول «هل» عليها للاستفهام ، ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجاز» . .

ولكن العرب قد تنطق(٢) بما يخالف القياس الذى يقول به النحويون ولم يرمهم هؤلاء بالخطأ ، وقد كثر استعمال اللغة الحجازية فى «ما» وجاء ذلك فى القرآن ، قال تعالى(٣) «ما هذا بشراً» ، لكن الزمخشرى يقول(٤) «إن إعمال ما عمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية ، وبها ورد القرآن ، ومنها قوله تعالى(٥) «ماهن أمهاتهم» ، ويعلق أبو حيان على ذلك بقوله :

---

١ — ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ١٦٧ .

٢ — الدكتور عبد العزيز برهام : الحطام المتناثر فى تضاعيف اللغة العربية ص ٥ .

٣ — سورة يوسف : آية ٣١ .

٤ — الزمخشرى : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٦ .

٥ — سورة المجادلة : آية ٢ .

(١)«وإنما قال القدمى لأن الكثير فى لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء فتقول ما زيد بقائم ، وعليه أكثر ما جاء فى القرآن ،وأما نصب الخبر فمن لغة أهل الحجاز القديمة» .

ويقول الفراء(٢) : «لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء ، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء ، قال الزمخشرى : اللغة القدمى الحجازية .

هذا ، وقد جاءت قراءة عبد الله بن مسعود باللغة الحجازية الحديثة، فقرأ «(٣) ماهن بأمهاتهم» فى موضع(٤) «ما هن أمهاتهم» .

فإن قيل(٥) : فلم دخلت الباء فى خبرها نحو «ما زيد بقائم» قيل لوجهين ، أحدهما أنها أدخلت توكيدا للنفى ، والثانى أن يقدر أنها جواب لمن قال : «إن زيدا لقائم» فأدخلت الباء فى خبرها لتكون بإزاء اللام فى خبر إن .

ومن خصائص لغة أهل الحجاز الفك(٦) أو الإظهار ، فقد كان(٧) الحجازيون يحترزون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؛ وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة فى النطق والتأنى والتؤدة فى الأداء بحيث يظهرون كل صوت ، ويعطونه حقه من جهر وهمس ، أو شدة ورخاوة .

---

١ ــ أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٠٤ .
ــ راجع شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٠٣ .
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١٨١ .
٢ ــ الفراء : معانى القرآن ج ٢ ص ٤٢ .
٣ ــ الزمخشرى : الكشاف ج ٤ ص ٤٨٥ .
٤ ــ سورة المجادلة : آية ٢ .
٥ ــ ابن الأنبارى : أسرار العربية ص ١٤٥ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٥٧ .
٦ ــ شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩١ ط ١٤ مطبعة السعادة .
ــ ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٣٥٠ .
٧ ــ إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٥ .

وهم عند اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع «نون النسوة ، أو نا الدالة على المتكلمين ، أو تاء الفاعل» يفكون(١) فيقولون : رددن ، يرددن ، اردن ، رددنا ، رددت ، كما أنهم(٢) يفكون آخر الفعل المضعف المجزوم، فيقولون لم يردد، لأن الجزم(٣) يترتب عليه نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذى قبله ، فعندما نقول «يكتب» يحدث النبر على المقطع «ت» . لكن عندما نقول «لم يكتب» يقع النبر على المقطع «يك» ، ومن هذا نجد أن الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الوراء بسبب الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل، وعلى ذلك جاء قوله تعالى (٤) : «ومن يرتددمنكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة» ،كذلك يفكون آخر الفعل الذى حكمه البناء على السكون فيقولون اردد ، وفى رأى سيبويه(٥) أن الفك هو اللغة العربية القديمة الجيدة .

وفى وسعنا أن نتتبع هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله فقد كان يظهر ، ومن قراءاته :

* «أعتدت للكافرين»(٦) فى موضع «أعدت للكافرين»(٧) .

---

١ – سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٤٢٤ الطبعة الأولى – مطبعة بولاق .
– ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
– ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٣٥١ .

٢ – الاستراباذى : شرح شافيه ابن الحاجب ج ٣ ص ٢٤٦ حيث قال : لغة أهل الحجاز فيه ترك الإدغام .

٣ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٥٠ .

٤ – سورة البقرة : آية ٢١٧ .

٥ – سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٤٢٤ .

٦ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٤ .

٧ – سورة البقرة : آية ٤ .

* «فتدارأتم فيها»(١) على الأصل فى موضع «فادرأتم فيها»(٢) .
* «ولا يضارر»(٣) بالفك وفتح الراء الأولى فى موضع «ولا يضار»(٤) .
* وأخذ أصحابه عنه قراءتهم «يبشر»(٥) بالتخفيف على وزن ينصر فى قوله تعالى «إن الله يبشرك»(٦) .
* «إلا أن تتصدقوا» (٧) فى موضع «إلا أن يصدقوا»(٨) .
* «مكلبين»(٩) بالتخفيف فى موضع «مكلبين»(١٠) .
* «كأنما يتصعد فى السماء»(١١) فى موضع «كأنما يصعد»(١٢) .

وقرأ عبد الله(١٣) «جدث» فى قوله تعالى(١٤)«من كل حدب ينسلون» قال(١٥) أبو الفتح هو القبر بلغة أهل الحجاز .

---

١ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص٨
٢ – سورة البقرة : آية ٧٢ .
٣ – أبو حيان : البحر المحيط ج ٢ ص ٣٥٣ .
٤ – سورة البقرة : آية ٢٨٢ .
٥ – الفراء : معانى القرآن ج ١ ص ٢٢٢ .
٦ – سورة آل عمران : آية ٣٩ .
٧ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٨ .
٨ – سورة النساء : آية ٩٢ .
٩ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٣١ .
١٠– سورة المائدة : آية ٤ .
١١– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤٢ .
– الزمخشرى : الكشاف ج ٢ ص ٦٤ .
– أبو حيان : البحر المحيط ج ٤ ص ٢١٨ .
١٢– سورة الأنعام : آية ١٢٥ .
١٣– ابن جنى : المحتسب ج ٢ ص ٦٦ .
١٤– سورة الأنبياء : آية ٩٦ .
١٥– ابن جنى المحتسب ج ٢ ص ٦٦ .
– راجع قول الراغب «الحدب هو ما ارتفع من ظهر الأرض»
مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٨ مطبعة التقدم العربى .
وراجع قوله تعالى : «فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» سورة يس آية ٥١ .

ومن خصائص اللغة الحجازية الميل (١) إلى الفتح فى حين أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وقد قيل إن الأصل هو الفتح ، ولذلك فإن من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل ، وقد وضحت هذه الظاهرة فى بعض قراءات عبد الله :

ـ فقرأ «يطهرن»(٢) بالتخفيف ، وفتح الهاء فى «يطهرن»(٣) .

ـ وقرأ «مجراها ومرساها»(٤) بفتح الميمين فى «مجريها ومرساها»(٥) .

ـ وقرأ «السقاية»(٦) بتضعيف السين وفتحها فى «جعل السقاية فى رحل أخيه»(٧) .

ـ وقرأ «عتيا»(٨) بفتح العين فى «وقد بلغت من الكبر عتيا»(٩) .

ـ وقرأ «صليا»(١٠) بفتح الصاد فى «أولى بها صليا»(١١) .

وقال(١٢) ابن مجاهد : لا أعرف لهما فى العربية أصلا .

---

١ ـ أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ١١٥ ، جـ ٨ ص ١١ .
ـ ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٢٩ ، ٣٥ .
ـ السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩١ .

٢ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٢٦٥ .

٣ ـ سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

٤ ـ أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٢٢٥ .

٥ ـ سورة هود : آية ٤١ .

٦ ـ الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ٥٠ .

٧ ـ سورة يوسف : آية ٧٠ .

٨ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ٦ .

٩ ـ سورة مريم : آية ٨ .

١٠ـ ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ٣٩ .

١١ـ سورة مريم : آية ٧٠ .

١٢ـ ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ٣٩ .

وقال أبو الفتح : لا وجه لإنكار ابن مجاهد ذلك لأن له فى العربية أصلا ماضيا ، وهو ما جاء من المصادر على فعيل نحو الحويل والزويل .

ـ وقرأ «من خلاله»(١) بفتح الخاء فى «فترى الودق يخرج من خلاله»(٢)
ـ وقرأ «ونسقيه» (٣) بفتح النون فى «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيرا»(٤) .

وكان تخفيف الهمزة(٥) لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، ذلك لأنها مالت إلى التسهيل(٦) فى اللهجات الحضرية ، وقد وضحت هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله ، فقد قرأ :

ـ الكبريا(٧) فى «وتكون(٨) لكما الكبرياء» .
ـ التايبين(٩) فى «التائبون»(١٠) .
ـ قرات اعين(١١) ـ بغير همز فى أعين ـ فى(١٢) «قرة أعين» .

---

١ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٢ .
٢ ـ سورة النور : آية ٤٣ .
٣ ـ ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .
٤ ـ سورة الفرقان : آية ٤٩ .
٥ ـ ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ طبعة التجارية سنة ١٩٦٢ م .
ـ راجع السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٨ الطبعة الثانية .
٦ ـ إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١١٢ .
٧ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٨٥ .
٨ ـ سورة يونس : آية ٧٨ .
٩ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٥ .
١٠ـ سورة التوبة : آية ١١٢ .
١١ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .
١٢ـ سورة الفرقان : آية ٧٤ .

ـ يخرج الخب(١) ، على تخفيف الهمزة بالحذف ، والخبا على تخفيفها بالقلب فى «ألا(٢) يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض» .

ـ إلا الخاطون(٣) ، بغير همز ، فحذف الهمزة ، وضم ما قبلها ليناسب الواو فى(٤) «إلا الخاطئون» .

ويمكننا أن نلفت إلى أن تخفيف الهمز(٥) يرد بكثرة فى القراءات التى تنتهى طرقها إلى أهل الحجاز ، وتلك التى ترجع إلى عبد الله بن مسعود .

ويقول أهل الحجاز(٦) ظل ظللت بكسر اللام الأولى ، ثم يحذفونها ويكسرون الظاء على كسرتها فيقولون ظلت،وظلنا ؛ وظلتم ، وقرأ عبدالله (٧) «الذى ظلت عليه عاكفا فى موضع (٨) «الذى ظلت عليه عاكفا» .

وقرأ «فشرذ بهم من خلفهم»(٩) بالذال فى موضع «فشرد بهم من خلفهم»(١٠) .

---

١ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ٣٦٢ .

٢ ـ سورة النمل : آية ٢٥ .

يخرج الخبء : يقال ذلك لكل مدخر مستور .

الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤١ مطبعة التقدم العربى سنة ١٩٧٢ م .

٣ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦١ .

٤ ـ سورة الحاقة : آية ٣٧ .

٥ ـ يقول ابن الجزرى : «كانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم لتخفيفا ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ... وكذلك عاصم من رواية الأعمش عن أبى بكر من حيث أن روايته ترجع إلى ابن مسعود . النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

٦ ـ ابن منظور : لسان العرب جـ ١٣ ص ٤٤١ .

ـ راجع شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٥٨٤ .

٧ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٨٩ .

٨ ـ سورة طه : آية ٩٧ .

٩ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٠ .

١٠ـ سورة الأنفال : آية ٥٧ .

وقرأ «فهل من مذكر»(١) بالذال المعجمة فى موضع «فهل من مدكر(٢)

والذال من الحروف الرخوة ، والدال من الحروف الشديدة ، ولذلك فإن النطق بالذال ينسب إلى البيئة الحجازية التى يميل أهلها إلى استخدام الأصوات الرخوة ، أما النطق بالدال فيناسب أحوال البدو الذين يميلون إلى استخدام الحروف الشديدة .

ويمكن تعليل قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم «فهل من مدكر»(٣) بأنها لغة الأخوال بنى سعد .

ويفرق الفراء بين الفرع والأصل فى اللغتين فيقول(٤) : و«مدكر» فى الأصل مذتكر على مفتعل ، فصيرت الذال وتاء الأفتعال دالا مشددة . قال : وبعض بنى أسد يقول «مذكر» فيقلبون الدال فتصير ذالا مشددة .

ويرى إبراهيم أنيس(٥) أن نسبة «مدكر» بالذال لبنى أسد من الأمور التى يصعب تعليلها لأن الذال من الحروف الرخوة ، وأسد من القبائل البدوية التى تؤثر الأصوات الشديدة .

وقرأ عبد الله بالظاء(٦) فى موضع الضاد فى قوله تعالى(٧) «وما هو على الغيب بضنين» . وقد اختلف الرواة فى نسبة الصيغتين . قال الفراء(٨) :

---

١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤٨ .

٢ — سورة القمر : آية ١٥ .

٣ — البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٧٨ .

— وانظر السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٩٣ .

٤ — لسان العرب ج ٥ ص ٣٧٦ .

٥ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٠٢ .

٦ . الزمخشرى : الكشاف ج ٤ ص ٧١٣ .

٧ — سورة عبس : آية ٢٤ .

٨ - انظر لسان العرب : مادة فيض ج ٩ ص ٧٧ .

أهل الحجاز وطيىء يقولون : فاظت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه . مثل فاضت دمعته ، وقال أبو زيد ، وأبو عبيدة : فاظت نفسه بالظاء ، لغة قيس ، وبالضاد لغة تميم ، وروى المازنى عن أبى زيد أن العرب تقول فاظت نفسه بالظاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولون بالضاد ، وقد ناقش إبراهيم أنيس هذه الروايات ، وخلص إلى أن الضاد تنتمى إلى بيئة تميم البدوية ، وأن الظاء تنتمى لبعض من قريش ممن تأثروا بالبيئة الحجازية ، أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول الفراء ، أى أن رواية أبى زيد هى أقرب الروايات إلى الصحة .

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن قراءة عبد الله بالظاء ، وهو صوت رخو فى موضع الضاد ، وهو صوت شديد ، يكشف عن تأثره ببيئة الحجاز المتحضرة التى تميل إلى استخدام الأصوات الرخوة التى تتفق مع بيئتهم بما فيها من ليونة .

اللغـــة المشتركة :

رأينا أن عبد الله لم يحصر نفسه فى لغة هذيل ، وإنما مد سمعه إلى بيئته ، وأخذ يقف على ظواهرها اللغوية ، ولكنه فى أحيان كثيرة كان يخالف عنها ، ويخرج عليها ، مما يحملنا على التسليم برفض الاعتماد على بيئة القارىء فى تحديد اللهجة التى تصورها قراءته .

والواقع أن اللغة الأدبية التى اتخذت أداة للتعبير لم تنحصر فى لهجة بعينها ، وكان شأن عبد الله بن مسعود شأن الشعراء فى الجاهلية وصدر الإسلام ، فقد جمعتهم هذه اللغة الأدبية الواحدة على ما بينهم من فوارق فى النسب والبيئة ، وقد قوى نفوذ هذه اللغة بنزول القرآن بها ، وربما كان ذلك سببا فى أن ظهرت فى قراءات عبد الله لهجات عدة لقبائل مختلفة ، وربما كان تصدى

عبد الله لإقراء القرآن وبيانه سببا فى أنه ألم بكثير من ظواهرها ، واصطنعها فى تعليمه ، وقد علل ابن جنى ظهور لهجات مغايرة للغة قبيلة العربى ولغة بيئته . فقال (١) : إن صاحب لغة قد راعى لغة غيره ، ذلك لأن العرب وإن كانوا كثرا منتشرين ، وخلقا عظيما فى أرض الله غير متحجرين ، ولا متضاغطين ، فإنهم بتجاورهم ، وتلاقيهم ، وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة فى دار واحدة ، فبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره ، فهذا هذا .

وفيما يلى قراءات نسبت إلى عبد الله ، ولكنها ليست من لهجة هذيل كما أنها ليست من لهجة الحجاز بعامة مما يشير إلى أنه جمع أكثر من لهجة .

ظواهر صوتية :

قرأ «بل أ أدرك»(٢) بهمزتين فى موضع «بل ادارك علمهم فى الآخرة(٣) وقرأ «ولا تأمموا»(٤) فى موضع «ولا تيمموا الخبيث منه»(٥) و تحقيق الهمزة(٦) لهجة تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها .

وقرأ «ما هذا بشر»(٧) بالرفع ، و«ما هذا بشرى»(٨) بالرفع أيضا فى

---

١ – ابن جنى : الخصائص جـ ٢ ص ١٥ ، ١٦ .
٢ – ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ١١ .
٣ – سورة النمل : آية ٦٦ .
٤ – الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٣١٤ .
٥ – سورة البقرة : آية ٢٦٧ .
٦ – ابن يعيش : شرح المفصل جـ ٩ ص ١٠٧ إدارة الطباعة المنيريه .
٧ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٠٤ .
٨ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .

موضع «ما هذا بشراً»(١) .

ومن قرأ(٢) على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع ، وذلك لأن «ما» فى(٣) لهجتهم لا تعمل شيئا .

وقرأ «إنى(٤) أرانى أعصر عنبا» فى موضع «إنى(٥) أرانى أعصر خمرا» وقيل(٦) : إن ذلك من لغة أهل عمان ، وإنهم يسمون العنب خمرا .

وقرأ طه(٧) بالإمالة(٨) فيكسر الطاء والهاء . وقد روى ابن الجزرى(٩) فى حديث ما يفيد أن عبد الله كان يقرىء الناس بذلك . قال زر بن حبيش :

---

١ — سورة يوسف : آية ٣١ .

٢ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٦ .

٣ — سيبويه : الكتاب جـ ١ ص ٢٨ .
راجع قول ابن عقيل ألحق الحجازيون بليس ما النافية ، فيرفعون بها المبتدأ ، وينصبون بها الخبر ومنه قوله تعالى «ما هذا بشرا» وغير الحجازيين لا يعملها» المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ٢٧٧ .

٤ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ٢١٥ .
— الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .

٥ — سورة يوسف : آية ٣٦ .

٦ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ٢١٥ .
— الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .
— السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ١٣٤ الطبعة الثانية .
— وقد حكاها أبو حنيفة وزعم أنها لغة يمانية : الزبيدى : تاج العروس مادة عنب جـ ١ ص ٤٠٠ .

٧ — سورة طه : آية ١ .

٨ — الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ١٨٤ .

٩ — السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩٠ .

قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه،وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل طه ، ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه ، وكسر ، ثم قال : والله هكذا علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت الإمالة(١) لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .

يقول إبراهيم أنيس(٢) : إن الإمالة تنسب إلى جميع القبائل الذين عاشوا فى وسط الجزيرة وشرقها ، وأشهرها : تميم ، وأسد ، وطىء ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، وتغلب .

وقد أوضح ابن الجزرى(٣) أن ميل هذه القبائل إلى الإمالة يرجع إلى سهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح ، وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع » .

وقد لحظ إبراهيم أنيس تلك العلة فذكر(٤) أن الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد فى الجهد العضوى والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية .

وقرأ «ربيون»(٥) بضم الراء فى(٦) «وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير» .

---

١ — ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٢٩ .
— السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩١ .
٢ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٦٠ ، ٦٣ الطبعة الرابعة .
٣ — ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٣٥ .
— السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩٢ .
٤ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٦٧ .
— راجع أيضا فى هذا الصدد دكتور عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٣٤ — ١٤٢ .
٥ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٢ .
— وهى قراءة الحسن : الزبيدى : تاج العروس «مادة ريب جـ ٢ ص ٢٦٥» .
٦ — سورة آل عمران : آية ١٤٦ .

وقرأ(١) «ولا يجرمنكم» بضم الياء فى موضع(٢) «ولا يجرمنكم» .

وقرأ(٣) «تنكصون» بضم الكاف فى(٤) «فكنتم على أعقابكم تنكصون .

وقرأ(٥) «وبحر يمده» بضم الياء وكسر الميم فى موضع(٦) «والبحر يمده»

وقرأ(٧) «ولا تحاضون» بضم التاء فى موضع(٨) «ولا تحاضون» .

والضم ينسب إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد .

وقرأ : (٩)«ثم اتحتم العجل من بعده» فى موضع(١٠) «ثم اتخذتم العجل من بعده» .

وقرأ(١١) «وأختم» فى موضع(١٢) «وأخذتم» .

يقول ابن خالوية «والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلمة على أصلها واغتنم الثواب على كل حرف منها ، والحجة لمن أدغم أن الظاء والثاء والذال مخرجهن من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى فوجب الإدغام لمقاربة المخرج

---

١ — الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٦٠٢ .
— ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٣١ .
٢ — سورة المائدة : آية ٢ .
٣ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٩٩ .
٤ — سورة المؤمنون : آية ٦٦ .
٥ — ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ١٦٩ .
٦ — سورة لقمان : آية ٢٧ .
٧ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٧٥١ .
— ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٣ .
٨ — سورة الفجر : آية ١٨ .
٩ — الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٧٢ .
١٠— سورة البقرة : آية ٩٢ .
١١ — الفراء : معانى القران جـ٢ ص ٢٨٩ .
١٢ — سورة آل عمران : آية ٨١ .

والمجانسة (١)

وقرأ(٢) «ولا يساءلون» بإدغام التاء فى السين فى(٣) «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» .

وقرأ(٤) «ما يذكر فيه من اذكر» فى موضع(٥) «ما يتذكر فيه من تذكر» .

وقرأ(٦) : «وقالوا ساحران اضاهرا» أراد تظاهرا ، ثم أدغم فلحقه ألف الوصل ، فى موضع(٧) «قالوا ساحران تظاهرا» .

وقرأ(٨) بإدغام التاء فى(٩)» والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا» .

وقرأ(١٠)«وإنى عت بربى وربكم»فى موضع(١١)«وإنى عذت بـــربى وربـــكم» .

---

١ – ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع ص٥٣ مطبعة دار الشروق سنة ١٩٧١

٢ – الزمخشرى : الكشاف ج ٣ ص ١٠١ .

– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٩٩ .

٣ – سورة المؤمنون : آية ١٠١ .

٤ – أبو حيان : البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٦ .

٥ – سورة فاطر : آية ٣٧ .

٦ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١١٣ .

٧ – سورة القصص : آية ٤٨ .

٨ – الفراء : معانى القرآن ج٢ ص ٣٨٢ .

٩ – سورة الصافات : آيات (١–٣) .

١٠– الفراء : معانى القرآن ج ١ ص ١٧٢ .

١١– سورة الدخان : آية ٢٠ .

وقرأ(١) «عم تساءلون» بتاء لا ياء فيها والسين مشددة فى موضع(٢) «عم يتباءلون»

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض من سمات لغة البدو لما جرت عليه عادتهم فى السرعة فى النطق ، وعدم التأنى فيه مما لا يعطى كل حرف ما يستحقه من تحقيق ، وقد عرفت(٣) تميم به .

والإظهار ضده ، وهو من خصائص لغة الحجازيين بعامة لأناتهم ، والتزامهم الدقة فى النطق ، . وفى رأى الفراء أن البيان(٤) أجود لأن القراءة بنيت على التفصيل والبيان .

وقد جاء القرآن غالباً(٥) باللهجة الحجازية نحو قوله تعالى :

(٦)«إن تمسسكم حسنة تسؤهم» ، «ومن يحلل(٧) عليه غضبى فقد هوى» «(٨)واغضض من صوتك» و « (٩)ولا تمنن تستكثر» .

---

١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦٧ .
٢ — سورة النبأ : آية (١) .
٣ - الكتاب جـ ٢ ص ٤٢٤ ، المحتسب جـ ١ ص ١٤٨ .
انظر الخصائص جـ ١ ص ٢٥٩ ، .
٤ — الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ٢٣٨ .
٥ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٣ .
٦ — سورة آل عمران : آية ١٢٠ .
٧ — سورة طه : آية ٨١ .
٨ — سورة لقمان : آية ١٩ .
٩ — سورة المدثر : آية ٦ .

وقد ورد فى القرآن على لهجة تميم(١) «من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه»(٢) «ومن يشاق الله» .

ويلحظ أن الأفعال التى وردت مدغمة ، وردت أيضا بلغة الحجازيين قال تعالى (٣) : «ومن يرتدد منكم عن دينه» ، وقال(٤) : «ومن يشاقق الرسول» ، وقال(٥) : «ومن يشاقق الله ورسوله» ، وربما كان هذا سببه.

«أن (٦) ظاهرة الإدغام كانت منالظوا هرالتى اعترفت بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت فى القرآن الكريم من ظواهراللهجات ، فهى فى أصلها من الظواهر التى كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرةوشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل» .

وفى وسعنا أن نعلل مسلك ابن مسعود فى الخروج على التقاليد الشفوية التى سادت بلاد الحجاز ، واتجاهه إلى القبائل البدوية ، وبخاصة قبيلة تميم ، وتمثله طرائقها فى النطق برغبته الدائبة فى أن تكون له شخصية متميزة فى كلامه تخالف ما جرت عليه أعراف بيئته ، فحرص على أن يقف علىظواهر

---

١ – سورة المائدة : آية ٥٤ .
٢ – سورة الحشر : آية ٤ .
– راجع شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٥٩١ .
٣ – سورة البقرة : آية ٢١٧ .
٤ – سورة النساء : آية ١١٥ .
٥ – سورة الأنفال : آية ١٣ .
٦ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٤ .

لغات القبائل الأخرى ، ويوسع لها مكاناً فى ثقافته حتى (١) «ليخيل إلينا أنه انتقل نهائيا إلى مستوى فصاحة الأعراب» .

وقرأ عبد الله(٢) «الرفوث» فى موضع(٣) «أحل لكم ليلة الصيام الرفث» وفى تاج العروس(٤) : الرفث محركة الجماع وغيره...وهو أيضا الفحش من القول «كالرفوث» بالضم ، وهذه لغة أهل نجد .

وقد تأثر عبد الله فى درسه اللغوى بخواص تميمية أخرى، فقرأ(٥) «كلمة «عدل بيننا و بينكم »بكسر الكاف و سكون اللام فى « كلمة سواء بيننا وبينكم» ، والكلمة(٦) لغة تميمية ، والكلمة حجازية، والجمع فى لغة تميم، الكـــلم .

وقرأ(٨) «معيق» فى(٩) «من كل فج عميق» ولغة(١٠) أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون معيق .

---

١ — الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .

٢ — الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

٣ — سورة البقرة : آية ١٨٧ .

٤ — الزبيدى : تاج العروس مادة رفث جـ ١ ص ١٢٤ .

— وراجع : نهاد الموسى : فى تاريخ العربية ص ٣٧ .

٥ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٣ .

٦ — سورة آل عمران : آية ٦٤ .

٧ — ابن منظور : لسان العرب جـ ١٥ ص ٤٢٨ .

— فى القاموس المحيط : الكلمة اللفظة والجمع كلم كالكلمة بالكسر والجمع ككسر . باب الميم فصل الكاف جـ ٤ ص ١٧٢ .

٨ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ١٥٢ .

— أبو حيان : البحر المحيط جـ ٦ ص ٣٦٤ .

٩ — سورة الحج : آية ٢٧ .

١٠— ابن منظور : لسان العرب جـ ١٠ ص ٢٧٠ .

وقرأ(١) «إننى برىء مما تعبدون» وقرأ الجمهور(٢) «إننى براء مماتعبدون وبرىء(٣) لغة بنى تميم ، وبرأ لغة أهل الحجاز ، وفى الإتحاف(٤) أنبرىء بكسر الراء بعدها ياء فهمز لغة نجد ،وتثنى وتجمع وتؤنث .

والدرس اللغوى الحديث يرى أن الأصل مانطقت به قبائل نجد، وأن الفرع مانطق به أهل الحجاز ، كمايرى أن هذا التطور تفسره ظاهرة الانسجام بين الحركات .

يقول إبراهيم أنيس(٥) «فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون «برأت من المرض» وسائر العرب يقولون «برئت أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو «برئت» وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى الى الصيغة الأخرى «برأت»..

وكان للفراء مذهب آخر فى التعليل لهذه الصيغ فى الكلمة نجده فى قوله تعقيبا على قراءة عبد الله(٦) ، ولو قرأها قارىء كان صواباً موافقا لقرائتنا لأن العرب تكتب يستهزىء ، يستهزأ ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف فى كل حالاتها .

وقرأ «قشطت»(٧) فى «وإذا السماء كشطت»(٨) ، وتميم تقول(٩)قشطت

---

١ — الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .

٢ — سورة الزخرف : آية ٢٦ .

٣ — الزبيدى : تاج العروس ج ١ مادة برأ ص ٤٤ ، ٤٥ .

٤ — الإتحاف ص ٣٨٥ .

٥ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٩٧ .

٦ — الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .

٧ — البخارى : الصحيح ج ٧ ص ١٦١ .
— أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٤٣٤ .

٨ — سورة التكوير : آية ١١ .

٩ — ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ مادة كشط .
— ابن جنى : سر صناعة الإعراب ص ٢٧٨ .
— ابن السكيت : كتاب الإبدال ص ١١٤ .

بالقاف ، وليست الكاف فى هذا بدلا من القاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين

وقرأ «قافورا»(١) بالقاف بدل الكاف فى «كان مزاجها كافورا»(٢) وقد يعارض هذه الظاهرة التميمية ما روى عن عبد الله من قلب القاف كافاً، فقد قرأ «فلا تكهر»(٣) فى «فأما اليتيم فلا تقهر»(٤) ، وقد ذكر الفراء أنه سمعها من أعرابى من بنى أسد قرأها عليه .

ولا سبيل إلى إزالة هذا التعارض إلا بأحد احتمالين أو بهما معاً . فأما عن الاحتمال الأول فهو ما نعرفه من الرخصة فى قراءة القرآن بالأحرف السبعة فى بدء الدعوة لتيسير قراءته ، والتخفيف عن المسلمين فى نطقه ، فلما تمت الوحدة اللغوية فى الدولة الاسلامية ، وانتفت الحكمة من ذلك ، عارض جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى العام الذى قبض فيه مرتين ، واستقر القرآن على حرف واحد هو الذى نقرأه به اليوم .ولئن خرق عثمان المصاحف ما عدا مصحفه فإنه من المحتمل أن تكون هذه القراءات قد ظلت عالقة بالأذهان من الأحرف الأخرى .

وأما عن الاحتمال الثانى فيقويه ما نعرفه من المهمة التى أرسل من أجلها عبد الله إلى العراق ، فقد آثر عمر أن يبعث به إلى هناك ليفقه المسلمين أمور الدين ، ويعلمهم القرآن ، والقبائل العربية التى استقرت فى العراق ، كانت

---

١ – أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٣٩٥ .
– ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ٣٧٩ .
٢ – سورة الإنسان : آية (٥) .
٣ – الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٢٧٤ .
– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٥ .
٤ – سورة الضحى : آية (٧) .

البداوة تغلب عليها ، ولم يكن بد و قد تصدى عبد الله لإقراء هؤلاء القرآن وبيانه لهم أن يكلمهم بما يعرفون ، وأن يخاطبهم بما جرت عليه عادتهم ، ولا يحتم عليهم أن يقرأوه بلغته لأن فى ذلك عنتا لهم ، وحملهم على مالا يطيقون .

لم لا نقول إن هذه القراءات تمثل نسيجا صوتيا ، وضع كل من قرأ على عبد الله خيطا فيه ، فهو وإن اشتمل على أكثر من ظاهرة ، فإنما يجمعها أن الجميع ضمهم الدرس الذى كان عبد الله يقوم به .

الفصل الرابع

ثقافة اهل الكتاب

ربما كان هذا الرافد قليل الشأن ، ولكننا لا نستطيع أن نغفل أثره فى عبد الله .

وقد هيأت له حياته فى المدينة أن يقف على أطراف كثير من هذه الثقافة ، ذلك لأن بيئة المدينة كانت لها سابقة بالدين والتدين ، وكانت التوراة بين أيدى اليهود من أبنائها .

وقد صدق القرآن الكتب السماوية التى سبقته ، فجوهر العقيدة فى جميعها واحد ، وهو مهيمن عليها ، أى أنه يحرس ما جاء فيها ، فيقر أصولها الثابتة ، ويوضح ما استقر من شرائعها ، وما تغير من أحكامها ، ويصحح ما حرف أو بدل منها .

قال تعالى(١) : «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

(٢)«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه» ،

(٣)«والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه» .

وقد صادف ما جاء فى التوراة موافقا للقرآن قبولا فى نفوس المسلمين ، فلم يغلقوا دونه منافذ الحس منهم ، قال عطاء بن يسار : لقيت(٤) عبد الله بن

---

١ – سورة المائدة : آية ٤٨ .

٢ – سورة الأنعام : آية ٩٢ .

٣ – سورة فاطر : آية ٣١ .

٤ – ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٥٢ ط . التجارية .

– راجع تفسير قوله تعالى : «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، والإنجيل ...» سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

وراجع قوله تعالى : «إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا» ...

سورة الأحزاب : آية ٤٥ ، سورة الفتح : آية ٨ .

– انظر شاهدا آخر : البخارى : الجامع الصحيح : ج ٨ كتاب الرقاق ص ١٠٨ طبع الخيرية .

عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول : لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفا ، وآذاناً صما ، وأعينا عميا ، قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غلوفيا ، وآذاناً صمووميا ، وأعينا عمووميا» .

ولقد وقف عبد الله على هذا المد الثقافى ، وحفلت مروياته بكثير منه ، أخرج(١) ابن أبى شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، و الطبرانى ، والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إنه لمكتوب فى التوراة . لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولا يعلم ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، وإنه لفى القرآن(٢) «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين» .

وكانت ملازمة عبد الله للنبى صلى الله عليه وسلم سبيلا تأتى إليه من خلاله قدر كبير من هذه الثقافة ، فقد كان يشهد فى حضرته أخبار اليهود ، وهم يذكرون له بعض ما جاء فى كتبهم ، فعرف ذلك منهم ورواه عنهم .

أخرج البخارى(٣) ومسلم عن عبد الله أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٧٦ .
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
٢ — سورة السجدة : آية ١٧ .
٣ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٩ كتاب التوحيد ص ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٨١ ط . الشعب .
: جـ ٦ كتاب التفسير ص ١٥٧ .
— مسلم : الصحيح بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٣٠ المطبعة المصرية .

عليه وسلم، فقال : يا محمد : إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بـــدت نواجذه ، ثم قرأ(١) : «وما قدروا الله حق قدره» .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال :(٢) «إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة . فدخل الكنيسة فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا — وفى ناحيتها رجل مريض — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما لكم أمسكتم ؟ فقـال المريض : إنهم أتوا على صفة نبى فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله» .

وأخرج الطبرى عن إبراهيم عن عبد الله قال : كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فمررنا بأناس من اليهود ، فقالوا يا أبا القاسم ،

— انظر الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت فى كتاب عقائد السلف .
السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٣٣٤ .

— انظر قول النووى : وظاهر السياق أنه ضحك تصديقا بدليل قراءة الآية التى تدل على صدق ما قال الحبر ، والأولى فى هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد . ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٨ ص ٣٨٩ ط . الخيرية .

١ — وتمام الآية : «وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون : سورة الزمر : آية ٦٧ .

— راجع روايات الطبرى فى تفسير هذه الآية : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢٤ ص ١٨ ط . بولاق .

٢ — أحمد بن حنبل : المسند : جـ ١ ص ٤١٦ .

ما الروح؟ ، فأمسكت ، فرأيت أنه يوحى إليه قال ، فتنحيت عنه إلى سباطة، فنزلت عليه «ويسألونك عن الروح ...» فقالت اليهود هكذا نجده عندنا.

كذلك كان لصلة عبد الله بالخلفاء وبخاصة عمر أثرها فى أن يحضر مجالسه التى يؤمها من أسلم من اليهود ، ويعرضون فيها مالديهم من تراث ثقافى ، قال عبد الله : (١) كنت عند عمر بن الخطاب ، فدخل علينا كعب الحبر ، فقال : يا أمير المؤمنين: ألا أخبرك بأغرب شىء قرأت فى كتب الأنبياء، أن هامة جاءت إلى سليمان ، فقالت : السلام عليك يا نبى الله ، فقال: وعليك السلام يا هام ، أخبرينى ، كيف لا تأكلين الزرع ؟ فقالت : يا نبى الله لأن آدم عصى ربه فى سببه، لذلك لا آكله ، قال : فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : يا نبى الله لأن الله أغرق بالماء قوم نوح ، من أجل ذلك تركت شربه، قال : فكيف تركت العمران ، وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله ، وأنا أسكن فى ميراث الله ، وقد ذكر الله ذلك فى كتابه ، فقال : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها إلى قوله ... وكنا نحن الوارثين» .

وقد ذكر ابن كثير (٢) أن كعب الأحبار لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه — عن كتبه قديما، فربما استمع له عمر فترخص الناس فى استماع ما عنده .

ومرد ما تحدث به اليهود مخالفا لما فى القرآن لا يرجع إلا أن بين الكتب السماوية تضادا أو تناقضا ، فكلها من عند الله ، أنزلها على أنبيائه . وقد تدرج الفكر الدينى فيها حتى كمل فى القرآن ، وإنما يرجع إلى أن أصحاب الكتب

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٠٣ .

٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ١٧ — ١٨ .

السابقة على الإسلام غيروا فيها ، وبدلوا تعاليمها ، وحرفوا آياتها ، وكتموا بعضها ، وأبدوا بعضها .

وقد لفت ابن حزم(١) إلى ذلك فى كتابه «الفصل» فضمنه فصلا فى مناقضات ظاهرة، وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة، وقد أورد فيه براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل التوراة وتحريفها . وقد سجل القرآن عليهم مسلكهم ، وشنع بنقضهم الميثاق ، وفضح إخفاءهم كثيرا مما بلغوا به ، وأنذرهم سوء العاقبة على ما اقترفوه فى حق الله ، وما تقولوا به عليه .

قال تعالى :

— (٢)«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون» .

— (٣)«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون» .

— (٤)«فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به» .

— (٥)«وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» .

---

١ — ابن حزم : الفصل : ج ١ ص ٣٥ — ٩٣ — مطبعة صبيح .
٢ — سورة البقرة : آية ٧٩ .
٣ — سورة البقرة : آية ١٥٩ .
٤ — سورة المائدة : آية ١٣ .
٥ — سورة الأنعام : آية ٩١ .

ويتحدد موقف عبد الله من الإسرائيليات فى قوله(١) : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم ، فتكذبون بحق ، وتصدقون بباطل ، وإن كنتم سائليهم لا محالة ، فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه .

ولما كان بنو إسرائيل قد غيروا فى التوراة ، وبدلوا فيها فقد خالفها القرآن فيما تغير ، وما تبدل . يقول عبد الله(٢) : إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه .

وقد حمل على عبد الله كثير من الإسرائيليات ، وقد وضح ذلك فيما روى عنه من الحديث عن (٣)ابتداء الخلق ، (٤)وما خلق الله فى كل يوم ، (٥)ثم القول فى الليل والنهار ، وأيهما خلق قبل الآخر ، (٦)والأخبار الواردة

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٥٢ .
— وفى رواية : «فإنهم قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وابتدعوا فى دينهم» .
السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٤ ،
وانظر جـ ٥ ص ١٤٧ .
— وانظر ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٢٥٩ .
— راجع ما ذكره الطبرى فى تفسير قوله تعالى : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ... سورة العنكبوت : آية ٤٦ .
جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢١ ص ٣ .

٢ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢٧ ص ٢٢٩ مطبعة الحلبى سنة ١٩٥٤ .
٣ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٣٩ .
٤ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٤٧ ، ٥٥ ؛
٥ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٦١ ، ٦٢ .
٦ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٨١ — ٩٥ .

بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك ، والسبب الذى هلك به ،(١) وما روى عنه من أن جبريل له ستمائة جناح .

فهذه المعارف المفصلة ليس لها أصل فى الإسلام، فهى لم ترد فى القرآن، ولم تنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولا سبيل إلى معرفتها إلا من أصحابها، فهى من معتقداتهم . ومن يتدبرها ومثيلاتها يجد أنها تعارض الشرع ،وتنافى العقل ، مما يحمل على رفض نسبتها إلى عبد الله ، وروايته لها.

كذلك نسبت إلى عبد الله معارف إسرائيلية أوردها المفسرون فيما أثر عنه من تفسير ، فقد وردت فى القرآن آيات مجملة ، ووجد المسلمون فى كتب اليهود متسعا لكثير من تفاصيلها ، وكان هؤلاء قد غيروا فيها وبدلوا ، فغلب فيها الباطل على الحق ، وكان سبيل هذه الإسرائيليات هو ما فطرت عليه النفوس من تشوق إلى الوقوف على الدقائق ، ومعرفة التفاصيل ، وما ورد من هذه الإسرائيليات صحيح السند لا يعنى بالضرورة ثبوت نسبته إلى عبد الله ، وإنما الأمر لا يخرج عن روايته له ونقله إياه عن أهل الكتاب .

أخرج الطبرى(٢) عن قيس بن سكن ، قال : حدث عبد الله ، وهو عند عمر «يوم يقوم الناس لرب العالمين»(٣) قال : إذا كان يوم القيامة ، قال : يقوم الناس بين يدى رب العالمين أربعين عاماً ، شاخصة أبصارهم إلى

---

١ — البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٧٦ .

٢ — الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٩ ص ٢٥ ط . بولاق سنة ١٣٢٩ هـ.
انظر قوله تعالى : «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» سورة القلم : الآية ٤٢ ، ٤٣ .

٣ — سورة المطففين : آية ٦ .
— وراجع الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ٥٩ .

السماء ، حفاة عراة ، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاماً ، ثم ينادى مناد يا أيها الناس ألیس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولى كل قوم ما تولوا ، قالوا : نعم ، قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ، قال : ويمثل لكل قوم آلهتهم، فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار ، فيتبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون ، فقد ذهب الناس ، فيقولون حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ، فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى ، فيخر من كان يعبده ساجدا ، قال: ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن فى ظهورهم السفافيد ، قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار فيقذف بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة ، قال : فيستقبلون فى الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج ، والحور العين ، لكل رجل منهم فى الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا ، بين أدناها وأقصاها ألف كذا سنة ، هو يرى أقصاها ، كما يرى أدناها ، قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة ، إذا نظر إليه مقبلا ، حسب أنه ربه ، فيقول له لا تفعل ، إنما أنا عبدك ، وقهرمانك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب ألا تسمع ما يحدث به عبد الله

وفى تفسير قوله تعالى :

«قل يتوفاكم ملك الموت»(١)

أخرج(٢) ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن ابن مسعود وابن عباس رضى

---

١ – سورة السجدة : آية ١١ .

٢ – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٧٣ .

– راجع نماذج أخرى من الإسرائيليات التى حملت على عبد الله : ما أورده القرطبى فى تفسير قوله تعالى : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» . «سورة البقرة» : آية ٢٩ . الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢١٩ ط . الشعب .

– وما أورده السيوطى فى تفسير قوله تعالى «وإن يونس لمن المرسلين» سورة الصافات : آية ١٢٩ «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» ج ٥ ص ٢٨٨ .

الله عنهما قالا : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم عليه السلام بذلك فأذن له، فأتاه ، فقال له إبراهيم عليه السلام : يا ملك الموت : أرنى كيف تقبض أنفاس الكفار ، قال : يا إبراهيم لاتطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض إبراهيم ، ثم نظر إليه ، فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء ، يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة فى جسده إلا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار ، فغشى على إبراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت فى الصورة الأولى، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه ، فأرنى كيف تقبض أرواح المؤمنين ، قال : فأعرض ، ثم التفت ، فإذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه فى ثياب بيض ، فقال : ياملك الموت ، لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه .

وسواء صح إسناد ما وصلنا من إسرائيليات عن عبد الله بن مسعود أم لم يصح، فهى ليست بذات قيمة ، فإن كانت مكذوبة فهى باطلة ، وإن كانت صحيحة النسبة إليه، فهى تأخذ حكم الحديث الموقوف ، فليس لأحد أن يظن أنها متلقاة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن شروط الحديث الموقوف الذى يكون له حكم المرفوع ألا يقال(١) من قبل الرأى ، ولا مجال للاجتهاد فيه ، وأن يخصص لصحابى لم يأخذ عن أهل الكتاب ، ولذلك فإن هذه المرويات

– وى تفسير قوله تعالى «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر ، قال : إنى برىء منك «سورة الحشر» : آية ١٦ . «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» ج ٦ ص ٢٠٠

– وما أورده الطبرى فى تفسير قوله تعالى« يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله «سورة لقمان» : آية ١٦ .

جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢١ ص ٧٢ .

١ – السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ج ١ ص ١١٤ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ .

الموقوفة على الصحابة بعامة إما إسرائيليات(١) أخذها بعض الصحابة الذين رووها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، ورووها ليعلم ما فيها من الغرائب والعجائب ، ولم ينبهوا على كذبها وبطلانها اعتمادا على ظهور كذبها وبطلانها، ولعلهم نبهوا إلى كذبها وعدم صحتها ، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم ،وإما أن تكون مدسوسة على الصحابة ، وضعها عليهم الزنادقة والملحدون ، كى يظهروا الإسلام وحملته بهذا المظهر المنتقد المشين .

وفى وسعنا ونحن نرصد موقف عبد الله بن مسعود من أهل الكتاب ، وثقافتهم أن نذكر أنه كانت له شخصيته العلمية المستقلة،فلم يكن يقبل كل مايقولون به بعامة ، وإنما كان له من علمه ما يمكنه أن يرد عليهم خطأهم .

أخرج الطبرى عن أبى عبيدة قال(٢) : جاء رجل إلى قوم فى المسجد ، وفيه عبد الله بن مسعود ، فقال : إن أخاكم كعبا يقرئكم السلام ، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» . فقال له عبد الله : وأنت فأقرئه السلام ، وأخبره أنها نزلت وهو يهودى .

وكان عبد الله يعرض هذه الثقافة على مبادىء الشرع ،ويخضعها لمقياس العقل ، وفى ضوء هذين المعيارين يكون حكمه بقبولها أورفضها .

---

٢ — الدكتور محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ١٣٥ — طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية — القاهرة .

١ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٧ ص ٤٦١ ط . دار المعارف .

ومن الشواهد على ما رفضه منها ما أخرجه الطبرى بسنده عن أبى وائل ، قال(١) : جاء رجل إلى عبد الله فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ؟ قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، فقال : ما حدثك كعب ؟ قال : حدثنى أن السموات تدور على منكب ملك ، قال : فصدقته أو كذبته ، قال : ما صدقته ولا كذبته ، قال : لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها ، كذب كعب ، إن الله تعالى يقول(٢) : «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» .

لم يتقبل عبد الله غث هذه الثقافة مما هو مناف للعقل ، أو معارض للشرع ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يرفضها فى عمومها ، فقد حدث عنهم بما علم صدقه فيما وافقهم فيه القرآن ، أو أيدتهم فيه السنة ، كما حدث عنهم بما لم يمس العقيدة من الأخبار ، وهو فى كل ذلك رجل القرآن يصحح معارفه عليه .

أخرج ابن جرير ، وعبد بن حميد والطبرانى والبيهقى عن ابن مسعود قال(٣) : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه ، وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض ، فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيرا ، فقال ابن مسعود : ما آتاكم الله خير مما آتاهم ، جعل لكم الماء طهورا ، وقال(٤) : ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

---

١ ـ الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .
ـ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٥٤٣٩ .
ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٥٥ .

٢ ـ سورة فاطر : آية ٤١ .

٣ ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١١٠ .

٤ ـ سورة النساء : آية ١١٠ .

لا يمكننا والأمر كذلك أن نغفل أثر هذه الثقافة فى تكوين عبد اللهالفكرى فقد كانت أحد مقومات ثقافته ، فضلا عن أنها كانت جزءا من ثقافة البيئة والعصر معا ، والثقافات تتداخل ، ولا سبيل إلى العزل بينها ، غير أن مقدار تأثيرها لم يتجاوز مدى محددا حتى يمكننا أن نقول باطمئنان بالغ : إن مجال العقيدة ظل إسلاميا خالصاً ، «(١)فلم يعرف عمن اتصل بأهل الكتاب من الصحابة أنهم رجعوا إليهم فى العقائد ، ولا فى الأحكام لثقتهم بأن ما عندهم يكفيهم عن سؤالهم ، وإذا ثبت أنهم سألوهم عن شىء من العقائد ، فما كان ذلك عن تهوك وارتياب منهم ، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم ، وإقناعهم بصدق ما عندنا بتصديق ما عندهم له ، وما كان يخشى من سؤالهم خطر على عقائد الصحابة ، ولا على أفكارهم بعدما استقرت أمور الشريعة ، ورست قواعدها» .

لا ينبغى لأحد إذا أن يقول إن الحديث عن هذا اللون من الثقافة فيه مطعن لعبد الله بن مسعود أو غيره من الصحابة ،أو إنها شوشت عليهمفكرهم، فالواقع أنها لم تكن لها قيمة فى الفكر الدينى بعامة ، فالدين غض ، ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين القوم فيه غناء ، وآيات القرآن كانت تملأ على الناس عقولهم وقلوبهم ، ثم إنها كانت فى الأخبار والقصص والتاريخ ، وما كان منها فى العقيدة والأحكام خضع للمنهج(٢) الإسلامى .

---

١ — محمد حسين الذهبى : الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٨٥ — دار النصر للطباعة سنة ١٩٧١ .
وانظر : ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ من المرجع نفسه .

٢ — الأساس فى هذا المنهج أن ما وافق الشرع صدقناه ، وما خالفه كذبناه ، وما كان مسكوتا عنه توقفنا فيه .

وليس لأحد أن يذهب إلى أن ما ورد من إسرائيليات منسوباً إلى عبد الله أو إلى غيره من الصحابة يفيد فى معرفة بعض الجوانب من حياتهم العقلية ، ذلك لأنها إما أن تكون مما سمعوه من أهل الكتاب»(١) وغالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل ، وتغيير وتأويل ، وما أقل الصدق فيه .. ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا» . وإما أن تكون مما اختلق عليهم ودس فى أقوالهم ، يقول ابن كثير(٢) : لعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب القديمة» ومحك بيانها عندئذ هو ردها إلى القرآن ، وعرضها على العقل والحس ، وإظهار ما عرف على رواتها من تجريح وتكذيب .

ويبدو أن عبد الله كان يعرف بعض الألفاظ من اللغة الحبشية وقد أتاه ذلك من إقامته بالحبشة حين هاجر إليها فى أول الإسلام ، فقد فسر قوله تعالى(٣) : «إن ناشئة الليل هى أشد وطءاوأقوم قيلا» بقوله : «إن ناشئة الليل هى بالحبشية قيام الليل» .

وبعد هذا ، أو قل قبل هذا ، كانت هناك رغبة ذاتية تدفع عبد الله إلى طلب العلم وتحصيله ، وقد بدت هذه الرغبة مبكرا منذ أن كان غلاماً ، وفى لقائه الأول بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد مر بنا أنه حين سمع القرآن منه طلب إليه أن يعلمه منه ، فدعا له بأنه غلام معلم .

---

١ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ١٦ .
٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ .
١ — سورة المزمل : آية (٦) .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٧٨ .

وقد بدت هذه الرغبة كذلك فيما كان يشغل به نفسه من مسائل اللغة والشعر ، وقصده بالسؤال من عرف بالتعمق فيهما . وربما كان له فى شىء منهما كتاب، فقد روى عن معن قال(١) : أخرج لى عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود كتاباً وحلف لى أنه خط أبيه بيده .

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٨٦ .

الباب الثانى

عبد الله بن مسعود: المربى والمعلم

« الدراسة صـــلاة »

«ابن مسعود»(١)

الفصل الأول

فى درس القرآن

اضطلع عبد الله بن مسعود بالدرس القرآنى ، وبخاصة فى الكوفة ، وقد أوضح عمر له هذه المهمة حين وجهه إليها ، قال له(١) : إنى وجهتك معلماً ليس لك صوت ولا عصا ، فاقتصر على كتاب الله ، فإنه كفاك وإياهم .

وقدر عبد الله جلال المسئولية ، وعظم التبعة ، فأقبل يبين لتلاميـــذه ضرورة الاهتمام بالدرس القرآنى ، والعناية به قال(٢) : تعاهدوا هـــذه المصاحف ، وربما قال : القرآن ، فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقله ، ودفعته الحمية الدينية إلى أن يربط بين الدرس القرآنى والفوز برضاالله ومحبته قال (٣) : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ، وبين مقصده من حب القرآن فقال(٤) : «ومن علامة حب القرآن ، حب أهـل القرآن ، وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار» ، كذلك بين لمن نهل من القرآن ، وتزود بآياته أنه سيعصمه من كل سوء ، وينجيه من كل شر ، ثم هو بعد ذلك سيؤجر على تلاوته ، قال (٥) : «إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ،

---

١ ــ وكيع : أخبار القضاة جـ ٢ ص ١٨٨ .

٢ ــ أحمد بن حنبل : المسند ص ٢٢٠ ، ٢٢١ حديث رقم ٣٦٢٠ .
ــ وفى رواية «استذكروا القرآن فإنه أسرع تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقله .
ــ سنن النسائى : كتاب الافتتاح جـ ٢ ص ١٥٤ .

٣ ــ ابن العماد : شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٩ ط . بيروت .

٤ ــ أبو طالب المكى : قوت القلوب جـ ٣ ص ٧٨ .

٥ ــ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥ ، وانظر ص ٧ .
ــ أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الخانجى سنة ١٩٦٣ .

ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات .

وقال(١) : تعلموا القرآن فإنه يكتب بكل حرف منه عشر حسنات ، ويكفر به عشر سيئات ، أما إنى لا أقول ألم حرف ولكنى أقول ألف عشر ولام عشر ، وميم عشر .

وكان يقول للرجل حين يقرئه الآية(٢) : تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض . حتى يقول ذلك فى القرآن كله .

كذلك كان يقول(٣) : لو أن أحدكم غدا فتعلم آية من كتاب الله ، كانت له خيرا من أربع ، وأربع حتى عد شيئا كثيرا .

وكان يفزعه أن ينشغل المسلمون بغير كتاب الله ، فيكون مصيرهم كالأمم التى كانت قبلهم ، فقد هلكت لأنها لم تتمسك بكتابها . قال مرة(٤): بينما نحن عند عبد الله بن مسعود إذ جاء ابن قرة بكتاب قال : وجدته بالشام فأعجبنى فجئتك به ، قال فنظر فيه عبد الله ، ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب ، وتركهم كتابهم ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فمائه فيه ، ثم محاه .

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٢٢ .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٣٤٩ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٣٤٩ .
٤ — البغدادى : تقييد العلم ص ٥٣ تحقيق يوسف العش دمشق سنة ١٩٤٩ .
— راجع سنن الدارمى جـ١ص ١٢٣ .
— الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى ص ٦٣ .

وقد مر بنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد له بسلامة طريقته فى القراءة» وأقر له بجودتها ، ووصفه بأنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل،وكان مما روى عنه أنه قرأ(١) سورة النساء ، فكان يسجلها سجلا،فأخذت قراءته بمجامع القلوب ، ودمعت عينا الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد أوتى عبد الله حسن(٢) الصوت ، وجمال التلاوة ، فكان(٣) يرعى مخارج الحروف ، ويحفظ الوقوف ، كما كان يخفض الصوت ، ويحزن فى قراءته، كذلك كان يتأنى فيها ، ويتمهل فى أدائها،و لا يسرع فى شئ منها، فيقرأ(٤) حرفا حرفا ليحافظ على الضوابط ، ويتحرى الأحكام ، كما أنه كان يكره تقطيعها ، والخروج بها عن قواعدها .

وقد أخذ عبد الله تلاميذه بهذه الطريقة التى استنها ، وكان يرفق بهم فى تعليمها لهم ، فوجههم إلى ترتيل القرآن ، قال علقمة(٥) ، قال لى عبد الله : اقرأ — وكان علقمة حسن الصوت — فقرأ ، فقال عبد الله ، رتل فداك أبى وأمى — رتل(٦) فإنه زين القرآن .

وروى جويبر عن الضحاك قال(٧) : قال عبد الله بن مسعود:جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فإنه عربى ، والله يحب أن يعرب به» .

---

١ — الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .

٢ — البلجى : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ .

٣ — راجع الجرجانى : التعريفات ص ٥٧ ط . لبنان سنة ١٩٦٩ .

٤ — البخارى : خلق أفعال العباد.رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٣ .

٥ — البخارى : خلق أفعال العباد : ص ١٦١ .

٦ — أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

٧ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٣ .

و كان عبد الله بذلك يود لهم لو تشبهوا بالنبى (ص) فى قراءته، قال البراء: سمعت(١) النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العشاء : والتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وقد نصح عبد الله تلاميذه بألا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة ، فقال لقوم كانوا يقرأون القرآن فيجهرون به(٢) «خلطتم على القرآن» .

وحمل عبد الله تلاميذه على ألا يسرعوا فى القراءة ليفرغوا من السورة قال(٣) : لا تهذوه هذا الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

وقال عمرو بن مرة(٤) سمعت أبا وائل يحدث أن رجلا(٥) جاء إلى ابن مسعود ، فقال : إنى قرأت المفصل كله فى ركعة ، فقال عبد الله : هذا كهذ الشعر ، لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن ، فذكر عشرين سورة من المفصل ، سورتين سورتين فى ركعة .

---

١ — صحيح البخارى : كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٩٤ . ط . الشعب .

٢ — البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٨ .

٣ — أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

٤ — أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الخانجى سنة ١٩٦٣ .

— ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

— الترمذى : السنن ج ١ ص ١٤٢ .

— النسائى : السنن ج ٢ كتاب الافتتاح ص ١٧٥ .

— ورد الخبر فى اللسان منسوباً إلى ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفصل الليلة ، فقال : أهذا كهذ الشعر . انظر ابن منظور : لسان العرب مادة هذذ .

— البخارى الجامع الصحيح ج ٣ ص ٢٣٤ .

— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥ .

٥ — هو سهيك بن سنان (انظر السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٩ .

ومراده بالمفصل(١) هو من سورة «ق» إلى آخر القرآن ، وسمى مفصلا لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة ، وقيل(٢) أوله سورة الحجرات على الأرجح ، وآخره سورة الناس اتفاقا .

أما الهذ فذكر السيوطى(٣) أنه السرد والإفراط فى السرعة ، وكانت هذه عادتهم فى إنشاد الشعر ، وقال النووى(٤) . قوله كهذ الشعر معناه فى حفظه وروايته ، لا فى إنشاده وترنمه ، وأما النظائر فقد قال الحافظ بن حجر إنها(٥) السور المتماثلة فى المعانى كالمواعظ والحكم والقصص لا المتماثلة فى عدد الآى ، وذكر المحب الطبرى(٦) أنه كان يظن أنها متساوية فى العدد حتى اعتبرها فلم يجد فيها شيئا متساويا .

وهذه النظائر هى(٧) : الذاريات ، والطور ، والنجم ، واقتربت ، والرحمن ، والواقعة ، ونون ، والحاقة ، والمزمل ، ولا أقسم بيوم القيامة ، وهل أتى على الإنسان ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وعبس وويل للمطففين ، وإذا الشمس كورت ، والدخان ، وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود ، قال : إنى أحفظ القرائن التى كان رسول الله يقرأ بهن ثمانى عشرة من المفصل ، وسورتين من آل حميم .

---

١ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٢ — المناوى : فيض القدير — شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٥٦٥ .
٣ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
— حاشية السندى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٤ — شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٣٦ .
٥ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٦ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٧ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٥ .

وقد قرن الرسول صلى الله عليه وسلم بين(١) الرحمن والنجم فى ركعة ، واقتربت والحاقة فى ركعة ، والذاريات والطور فى ركعة ، والواقعة ون فى ركعة ، وسأل والنازعات فى ركعة ، وعبس وويل للمطففين فى ركعة ، والمدثر والمزمل فى ركعة ، وهل أتى ولا أقسم فى ركعة ، وعم يتساءلون والمرسلات فى ركعة ، وإذا الشمس كورت والدخان فى ركعة .

وكان عبد الله يبصر أصحابه بأن القراءة الحقة تعنى المعايشة الحقيقية للنص القرآنى ، والتخلق به ، فى قوله (٢)تعالى «يتلونه حق تلاوته» قال (٣)أى يتبعونه حق اتباعه ، وعن أبى العالية قال(٤) : قال عبد الله بن مسعود : والذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزل الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويلـــه .

ولكى يتحقق هذا القصد كان عبد الله يعلم تلاميذه تدبر القرآن عنـد قراءته ، فلا يقفون بكلماته عند مخارج حروفها ، ولا يتلون آياته بألسنتهم ، وقلوبهم هواء ، وإنما عليهم أن يجعلوا قراءتهم له تملأ عليهم رؤوسهم وصدورهم ،

---

١ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٢ — سورة البقرة : آية ١٢١ .
٣ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢ ص ٥٦٧ .
— ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٨٧ .
٤ — راجع الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢ ص ٥٦٧ — ٥٦٩ .
— ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٨٦ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١١١ .

قال لهم(١) : إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع .

وكان يحذرهم من أن يقرأوا القرآن من أقصى الحلق ، قال(٢) : إياكم والتنطع : والتنطع هو التكلم بأقصى الحلق ــ مأخوذ من النطع ، وهو الغار الأعلى ــ ،وهو فى هذا يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذهم بحديثه «(٣)ألا هلك المتنطعون» والمتنطعون هم(٤) المتعمقون المغالون أى المتجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم .

وكان عبد الله يرى أن قارىء القرآن لو تدبره ، وعمل به لعرف بين الناس بسمات لا توجد فى غيره لأنه سيأخذ بما هداه إليه ، فيصبح طيب المظهر والمخبر مما يجعل شخصيته تمثل نمطا مميزا بين الناس ، وقد أكد عبد الله ضرورة أن يكون تلاميذه من هذا النوع فأخذهم بقوله(٥) : «ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مستيقظون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون» .

---

١ ــ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٤٩ . .
ــ أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٨ .
ــ صحيح مسلم : جـ ١ ص ٥٣٦ ، وانظر ص ٥٦٤ .
ــ أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢١٥ حديث رقم ٣٦٠٧ .
٢ ــ أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٣ .
ــ ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٢١ .
٣ ــ أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم ٣٦٥٥ .
٤ ــ انظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٦ ص ٢٢٠ .
ــ شرح الأبى على صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٠٦ .
ــ شرح السنوسى على صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٠٦ .
٥ ــ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢١ .
ــ أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

«وينبغى(١) لحامل القرآن أن يكون باكيا مجزونا ، حكيما ، حليما ، علما ، سكيتا» .

— «وينبغى(٢) لحامل القرآن ألا يكون جافيا ، ولا غافلا ، ولاصخاباً ، ولا صياحاً» .

وكان عبد الله يحذر من أن يقرأ القرآن منكوساً ، وقال(٣) : ذلك منكوس القلب ، وكان يعنى بذلك من يقرأ السورة منكوسة ، ويبتدىء من آخرها إلى أولها لأنه إفساد للسورة ، ومخالفة لما قصد بها .

وكان عبد الله يتخذ له مجلساً فى المسجد حين يريد أن يقرىء تلاميذه القـــرآن .

قال مسروق(٤) : كان عبد الله يقرئنا القرآن فى المسجد ، ثم نجلس به نثبت الناس .

وكان عبد الله ينهج نهج النبى (ص) فى التثبت من جودة قراءة تلاميذه وتمكنهم من أصول التلاوة وقواعدها ، فكان يطلب منهم أن يقرأوا عليه القرآن كما كان الرسول (ص) يفعل فى حياته .

روى أبو حيان الأشجعى عن ابن مسعود ، قال(٥) : قال لى : اقرأ

---

١ — أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٠ .

٢ — أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٠ .

— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٥٠ .

٣ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦١ .

— الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٥٧ .

٤ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .

٥ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ١٨٥ حديث رقم ٣٥٥٠ .

على من القرآن ، قال : فقلت له : أليس منك تعلمته وأنت تقرئنا ، فقال : إنى أتيت النبى (ص) ذات يوم ، فقال اقرأ على من القرآن ، قال : فقلت يارسول الله ، أليس عليك أنزل ، ومنك تعلمناه ؟ قال : بلى ، ولكنى أحب أن أسمعه من غيرى .

وروى البخارى عن(١) علقمة ، قال : كنا جلوساً عند ابن مسعود ، فجاء خباب ، فقال يا أبا عبد الرحمن ، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا كما تقرأ ، قال : أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك ، قال أجل ، قال : اقرأ يا علقمة ... فقرأت خمسين آية من سورة مريم ، فقال عبد الله كيف ترى ، قال : قد أحسن ، قال عبد الله : ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرأه .

وقرأ(٢) عليه الأسود ، وتميم بن حذلم ، والحارث بن قيس ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن قيس ، وعبيد بن فضلة ، وعلقمة ، وعبيدة السلمانى ، وعمرو بن شرحبيل ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وزيد ابن وهب ، ومسروق .

وقد ذاعت قراءة عبد الله فى العراق حيث عاش كثيرون ممن قرأوا عليه ، يقول ابن حزم(٣) : ولأهل الكوفة القراءة المعروفة بعاصم بن أبى النجود (تابعى مات سنة ١٢٨) قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش ، وقرأ زر على ابن مسعود ، وهى خير القرآن (أى القراءة) عندنا من غير أن ننكر غيرها .

---

١ — صحيح البخارى ج ٥ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ص ٢٢٠ ط . الشعب .

٢ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

— الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج ١ ص ٣٤ .

٣ — ابن حزم : من رسالة له نشرت فى كتابه جوامع السيرة ص ٢٦٩ .

وقد لفت الطبرى إلى ذلك فكثر فى كلامه عقب ما يورده من قراءات عبد الله قوله(١) : «فقبرأ ذلك قراء أهل الكوفة» وقوله(٢) : «فأما قارىء ذلك كذلك من أهل الكوفة فإنه ذكر عنه أنه قرأه كذلك اعتبارا منه بقراءة ابن مسعود» .

ولا يمنع ذلك من ذكر ما اعترض به على عبد الله ، فقد عاب عمر بن الخطاب عليه (٣)ظاهرة الفحفحة التى اختصت بها هذيل ، والتى أخذها تلاميذه عنه ، فقد سمع رجلا يقرأ «عتى حين»(٤) فقال من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل .

كذلك قيل لابن عباس(٥) : إن ابن مسعود قرأ ، ونادوا يا مال ليقض علينا ربك» بحذف الكاف للترخيم فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم .

ولم يقف ابن مسعود بجهده فى التعليم عند حد إقراء القرآن ، وإنما كان يفسره لمن يحضرون مجالسه .

قال مسروق(٦) : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ، ويفسرها عامة النهار .

---

١ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٣ ص ٢٤١ ط . دار المعارف .
٢ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٤ ص ٥٥١ .
٣ – راجع الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .
٤ – سورة يوسف : آية ٣٥ .
٥ – الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٢٦٤ .
– أنظر قوله تعالى : «ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون» سورة الزخرف آية ٧٧ .
٦ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٨١ ط دار المعارف .

ووصفه ابن كثير(١) بأنه كانت له اليد الطولى فى تفسير كلام الله ، ووضعه القرطبي(٢) فى المرتبة الثانية لعبد الله بن عباس .

وكان عبد الله فى تفسيره يستعين بما يعرف فى التربية الحديثة بالوسائل المعينة فى التدريس . أو وسائل الايضاح ، فقد أخرج الطبرى عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله تعالى(٣) «فردوا أيديهم فى أفواههم» قال(٤) : عضوا عليها تغيظا ، وعض يده .

وقد كان عبد الله فى ذلك يستهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى انتهاجه هذا النهج ، فقد روى (٥)أبو وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى(٦)«وأن هذا صراطى مستقيما» أنه خط خطا ، ثم قال : هذا سبيل الرشد . ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا هذه الآية .

وكان عبد الله ممن ينحرجون من القول بالرأى فى التفسير ، قال(٧) : القرآن كلام الله ، فمن قال فيه برأيه فليعلم ما يقول فإنما يقول على الله .

وأخرج ابن أبى شيبه عن ابن مسعود قال(٨) : «إن للقرآن منارا كمنار الطريق ، فما عرفتم فتمسكوا به ، وما اشتبه عليكم فذروه» ، وكان يتوقف

---

١ – ابن كثير : البداية والهاية جـ ٥ ص ٣٣٦ .
٢ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .
٣ – سورة إبراهيم : آية ٩ .
٤ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ١٨٨ ط . الحلبى .
٥ – الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٨٠ .
٦ – سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
٧ – الدارمى : الرد على الجهمية : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٣٣١ .
٨ – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٧ .

أمام الآيات المتشابهات ، ويعدها مما استأثر الله بعلمه . عن الربيع بن خيثم قال(١) : قال عبد الله ، ما علمك الله فى كتابه فاحمد الله ، وما استأثر به عليك من علم فكله إلى عالمه ، ولا تتكلف . فإن الله عز وجل يقول لنبيه «قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين» ، وكان تفسير عبد الله مصدرا استقى منه كثير من مفسرى الكوفة ما رووه فى كتبهم ، فقد روى السدى(٢) تفسيره عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود .

ولم يقتصر عبد الله فيما أخذ به تلاميذه على الدرس القرآنى إقراء وتفسيرا ، وإنما تعهدهم بما يعينهم على التفقه فى الدين ، فبصرهم بطرائق استنباط الأحكام ، كما وجههم إلى تعلم الفرائض ليكون قضاؤهم فيما يرفع إليهم عن معرفة بما أقره الشرع ، وما جاءهم القرآن به ، قال لهم(٣) : «من قرأ منكم القرآن فليتعلم الفرائض ، فإن لقيه أعرابى قال : يا مهاجر أتقرأ القرآن ، فيقول : نعم ، فيقول : وأنا أقرأ ، فيقول الأعرابى : أتفرض يا مهاجر ، فإن قال : نعم ، قال : زيادة بخير ، وإن قال : لا ، قال : فما فضلك على يا مهاجر ؟» كذلك كان(٤) يطالبهم بأن يتعلموا الحج والطلاق فإنه من دينهم .

---

١ — ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ٥٧ .

٢ — انظر الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ١٥٦ — ١٦٠ .
ط . دار المعارف — تعليق الشيخ أحمد شاكر .
— وراجع ناصر الدين الأسد فى كتابه : مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ١٤٨ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م .

٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٢٧ .
— راجع قول عبد الله : «من لم يتعلم الفرائض والطلاق والحج فهم يفضل أهل البادية :
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص ١٦٢٦ ط . الشعب .

٤ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٢٧ .

الفصل الثانى

فى درس الحديث

أمضى عبد الله بن مسعود معظم حياته بعد النبى صلى الله عليه وسلم بعيدا عن المدينة . وكان أغلب أهل الأمصار التى قصدها ممن دخلوا فى الإسلام بعد الفتوحات ، ويؤكد خطاب عمر إلى أهل الكوفة المهام التى اضطلع بها حين أوفده إليها فقد أراده معلماً لهم لأنه أدرك حاجتهم إلى ما عنده من علم .

وفى الكوفة كثر لقاء الناس بابن مسعود ، وكان يحدثهم بما عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يأخذونه عنه ، وربما كان ذلك وراء وصفه بأنه «حدث(١) عن النبى صلى الله عليه وسلم بالكثير» وفى حديث عامر بن عبد الله بن الزبير ما يشير إلى ذلك ، قال(٢) قلت للزبير بن العوام ، مالى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا ؟ قال : أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت . ولكنى سمعت منه كلمة ، يقول ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

والواقع أن عبد الله قد أتيح له ما لم يتح لغيره من الصحابة ، فلقد طالت صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، واشتدت ملازمته له حتى كاد يعد من أهل بيته ، فضلا عن حرصه على التعلم منه ، والأخذ عنه ، ومع هذا فإن وصفه بالإكثار من الحديث أمر نسبي ، ذلك أن ما روى عنه كان أقل مما روى عن غيره من الصحابة ممن هم فى طبقته ، وعلى درجته ، وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين ، ولا يعد(٣) مكثرا من الرواية بين الصحابة إلا كل من

---

١ — ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٣٣ .
الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ١٥٩ .

٢ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٩ كتاب الأحكام ص ٩٠ .
— ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ١٤ .

٣ — صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٥٤ .

زاد منهم على ألف حديث ، وقد بلغت أحاديث(١) عبد الله ثمانمائة مسند ونيفا ، وعلى وجه التحديد(٢) ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين ، اتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وستين ، وانفرد البخارى بأحد وعشرين ، ومسلم بخمسة وثلاثين .

وقد ذكروا فى التعليل لقلة ما رواه عبد الله بن مسعود أن عمر خشى أن يخطىء الصحابة إن هم أكثروا من رواية الحديث فشدد عليهم ، وأمرهم(٣) أن يقلوا الرواية عن النبى ، يقول ابن قتيبة(٤) : «كان عمر شديدا على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى» ، وقيل(٥) إنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى خبر رواه شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال عمر لابن مسعود(٦) ، ولأبى الدرداء ، ولأبى ذر : «ما هذا

---

١ – ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٣٨ .

٢ – ابن حزم : أسماء الصحابة الرواة ص ٢٧٦ .

– النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ .

– وقد أخذت دائرة المعارف الإسلامية بهذا العدد .

انظر مادة ابن مسعود جـ ١ ص ٢٧٦ .

٣ – يعضد ذلك أن عمر ألزم نفسه بما أمر الناس به فمسنده خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا فقط :

انظر ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٣٧ .

٤ – ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٣٠ .

٥ – ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٥ .

٦ – ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ٣١٦ مطبعة الامتياز .

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات ، وهذا الخبر لا يعول عليه فقد نبه ابن حزم على أنه مرسل ، وشك فيه ، فلا يصح الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقى وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو سنة ٦٥(عن ٧٥ سنة لم يسمع عن عمر .

ثم إن هناك رواية ثانية لهذا الخبر ، فقد روى الذهبي(١) عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة «ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصارى» ، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله» وهذه الرواية تختلف عن رواية ابن حزم فيمن حبسهم عمر ،فقد استبدلت أبامسعود الأنصارى بأبي ذر ، فهل تكرر(٢) الحبس من عمر ، ولو تكرر لاشتهر ، ثم إن حادثة كهذه سيطير خبرها فى الآفاق من غير أن تحتمل الشك فى المحبوسين لأنهم من أعيان الصحابة ، ولو سلمنا أن العبرة فى الحادثة نفسها من حيث حبسه بعض الصحابة ، دون نظر إلى أعيانهم وأشخاصهم لأنهم أكثروا الرواية قلنا قد كان غير هؤلاء أكثر منهم حديثا ، ولم يردنا خبر عن حبسهم ، فلا يعقل أن يحبس أمير المؤمنين بعضا دون بعض فى قضية واحدة هم فيها سواء ، وهى الإكثار من الحديث .

وعلى افتراض صحة الخبر يكون المراد أن عمر منعهم الحديث ، واستبقاهم فى المدينة حتى يتثبت مما عندهم ، ويتيقن من ضبطهم لما يروون من الحديث ، ويحمل على ذلك ، ويعضده قول الخطيب البغدادى(٣) «إنه حبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء» .

---

١ – الذهبى : تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٧ ط . الهند سنة ١٩٦٨.

٢ – محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

٣ – البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٨ ط . باكستان .

١٢٢٦٩٩ / ١